سلسلة الثقافة الإسلامية

الإسلام والأسرة

معوّض عوض ابراهيم
مبعوث الأزهر الشريف

دار النشر للجامعيين

سلسلة الثقافة الإسلامية

الإسلام والأسرة

الفهرس

جدول الخطأ والصواب

هذه بعض الاخطاء وصوابها أرجو الله يصلح القارىء كل خطأ في مكانه .. والله يصلح بنا وبه والسلام .

سطر	ص	الخطأ	الصواب
١	٥	الفرد	إنفرد
٢٢	٦	غايرات	غايرت
١٢	٩	البخاري	الباري
١٤	٩	ودملم	ومسلم
٢٠	١٠	عبدالله	عبد البر
٩	١١	اي طليعتها	اي طبيعتها
٩	١١	يستزله	يستنزله
١٩	١٤	الطامع	المطامع
١٩	١٦	الغارس	المغارس
٢٤	١٧	اعيداني	الميداني
١٦	١٩	نفذي	– نفذي –
٩	٢١	الاغاني	لا الاغاني
٢٠	٢٥	المعاطه	المعاد
٢٠	٢٦	كلاهما	كلامها
٢١	٢٦	لا امرأة	لا إمرَةَ
٢٢	٢٧	مسعد	سعد
٢٤	٢٧	المندري	المنذري
٢٣	٢٨	اقصدر	المصدر
١	٢٩	فم امرأتك	في امراتك

سطر	ص	الخطأ	الصواب
١١	٢٩	التصوف	التصرف
١٢	٢٩	لهن	لهم
٢٢	٢٩	مسعد	سعد
٧	٣٣	يفصمون	يفصموا
١١	٣٤	ونصونهن	وتَصَوْنهن
٢٢	٣٥	هو الطريقة	هي الطريقة
١٣	٣٨	متيلف	مُتَليّف
١٤	٤١	الموأة	المرأة
١٣	٤٥	الانضار	الانصار
١٣	٤٥	قاض	قاضي
١٨	٥١	الضميفة	الضيقة
٦	٥٢	رينيه	دينيه
١٦	٥٢	وهدى	وهوى
٢٢	٥٤	الصيحا	المستصحبات
٣	٥٥	المعجبون	اتعجبون
٣	٥٦	المذكور	الذكور
٥	٥٦	يفضون	يُغْضُون
١٦	٥٨	ابا جعفر	ابا حفص
٥	٥٩	ببيوت	لبيوت
١٠	٦٠	يكنمبارحة	يكن من مبارحة
١١	٦٠	تبرحنا	تبرجن
١٩	٦٣	اداب الاسلام التي	. . . هي التي
١٤	٦٥	الرسال	الرسول
٧	٦٩	يستغنن	يستغنين

سطر	ص	الخطأ	الصواب
١٥	٧٠	رينيه	دينيه
١٥	٧٤	رينا	ربنا
٢٢	٨٤	حيث رواه	حديث . . .
١٢	٨٥	الوستان	الوسنان
٩	٨٩	في أفراد	وان في ...
١	٩٩	وَيدَعَنَ	وَيدَعْنَ
٤	١٠٧	أحالهم	آجالهم
١	١٠٩	تقل	يقل
١١	١١١	خالدة(١)	خالدة(٢)
٢٣	١١١	(١)	(٢)
٢	١٢٢	المتبنّي	المتبنّى
٢	١٢٢	المتبنّى	المتبنّي
٨	١٢٢	اذورته	إذا
١٨	١٤٥	ذوو	ذوو الارحام
١٩	١٤٥	هم اقارب	هم اقارب الميت من غير
٢	١٤٩	وما ملت	وما ملكت
٩	١٤٩	ويعمل	ويممل
١٦	١٤٩	فأحبه	فأجبه
١٦	١٤٩	فأجبه...	سقطت جملة «واذا عطس فَشَمّتْهُ»
٢١	١٤٩	فغفر الله	فغفر له
١	١٥٦	الأجهرة	الأجهزة
٢	١٥٧	رين	زين
٨	١٥٧	بالجدّة	بالجِدّةِ
١٢	١٥٧	نضجا	نصحا
١٩	١٥٨	النهج	المنهج
١٢	١٦٠	اركريس	ا ــ كريس

بسم الله الرحمن الرحيم

« رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ »

سورة النمل - ١٩

« .. رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا »

الفرقان - ٧٤



الإسلام والأسرة

معوض عوض ابراهيم
مبعوث الأزهر الشريف

دار النشر للجامعيين

مقدمة

عناية الاسلام بالأسرة ، حقيقة تفرد بها بين شرائع الله جميعاً .

فالاسلام دين الحياة لا ريب ، يعتبرها ويرعاها ويتسع لشؤونها ، ويعالج مشكلاتها التي تتصل بالأحياء انفسهم ، وبما حولهم مما خلقه الله من اجلهم .

واهتمام الاسلام بالأسرة ، واختيار الزوجين – وهما لبنتاها اللتان لا تقوم بدونها – وبيانه للحقوق والواجبات التي احكم العليم الخبير بها رباط الزوجية ، وجعلها دستور العيش الرغيد بين الزوجين وابنـــائهم ، وخدمهم ، وتفصيله للآداب التي لا بد منها في الاختلاط والتزاور ، ومعاملة الجيران ، الى آخر مـــا هنالك من شؤون الأسرة في ايام وفاقها وشقاقها ، هو هدفنـــا من هذه البحوث التي نود ان تجتمع عليها الآذان والقلوب جميعاً ، بقدر الحاجة اليهـــا ، في زمن اختلطت فيه مذاهب الحيـــاة ، وولى اقوام وجوههم شطر الشرق والغرب يستوردون تقاليد ومناهج تخالف موروثاتنا العزيزة ، ولا تصلح عليها حياتنا ، لأنها لم تصلح حتى اليوم ـ ولن تصلح ـ حياة الذين عُرِفت بهم وعرفوا بهـــا « فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم »[1].

---

(١) سورة النور آية ٦٣

هكذا تكون « الاسرة » مدرسة الحيـــاة ، ومشرق النور فيها ، وينبوع الفضائل التي تقوي وتبقى ، بقدر ما في البيئة التي انبتتها ، من عنـــاصر الحق والخير والجمال !

ولقد دعاني الى عرض وجهة نظر الاسلام ، وجلاء سلوكه الراشد في هذا الجانب،ما رأيت في اقطار وديار في هذه الايام،من تفكك اواصر بعض الأسر ، وانصراف افرادها الى ذواتهم وشهواتهم ، ناسين وصـــايا الاسلام ووساطته في دعم قواعد الأسرة ، وجهده المبرور في شد عراها ، ورد بعضهـا الى بعض في ايثار وحدَب، يجعلان التعاون على البر والتقوى ـ كما دعا اليه القرآن الكريم ـ من هبات مجتمع الأسرة وهداياه للمجتمع الكبير الذي تشتد حـــاجته للقدوة الطيبة ، وما اسعده حين يتلقاها من البيت الذي قام في اكناف الاسلام ـ على قواعده وتحت سمعه وبصره ـ ومن الأسر التي تؤلفه ، وتتآلف في نطاقه بمـــا تحرص على تمثله ، واخذ نفسها به ممـــا اجملناه ، وتجد تفصيله في فصول تتتابع ان شاء الله . .

وما اسعدني ـ مع ذلك ـ حين اكشف وجـــه الحق من منابع الاسلام واصوله الصحيحة ومن حياة سلف هذه الامـــة ، وحين أجعل ذلك في متناول شبيبتنا المرجاة ـ من الجنسين ـ بعد ان خايلها كثير من دسائس بعض ادعيـاء المعرفة ، الذين يحلو لهم الارجاف بالاسلام والتجني على حقـائقه الربانية ، باسم التطور والتجديد وحرية الفكر ، التي حجبت عن هؤلاء سماحة الاسلام وسعته ومرونة احكامه وتشريعاته ، وعمق نظرته في الطلاق وتعدد الزوجات وكريم تناوله لمسائل الجنس وعدالة نظام التوريث فيه بعد ان لفتت اليـــه الانظار من خارج حدوده ألسنة تعلن انه رحمة الله للعالمين .

فاذاتحا يرت هذه الدراسة الصادقة الصريحة لأدواء الأسر وادويتها مألوف الناس ، وبدت ثقيلة على آذان وقلوب ، فان ذلك شأن الحق الذي يقول الله فيه « ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض » ويقول عمر « ان

كلمة الحق لم تدع لي صديقاً » .

وهو طبيعة مبضع الطبيب ، يسيل الدم وقد يمزق اللحم ، ليستأصل علة في بقائها البلى، وطبيعة الدواء الذي نعاف لذعه ومرارته وفيه السلامة والعافية !!

واسأل الله ان يعين على الخير ، وان يرزقنا الثبات في الامر والعزيمة على الرشد واقول مع القائل :

أعوذ برب الناس من كل طاعنٍ علينا بسوء او ملح بباطل
ومن كاشح يسعى لنا بمعيبةٍ ومن ملحق بالدين ما لم نحاول

بيروت في : جمادى الآخرة ١٣٨٠
كانون اول « ديسمبر » ١٩٦٠

معوض عوض ابراهيم



أساس الأسرة

١ – الزواج

الزواج هو اساس هذه الاسرة التي هي لبنة في صرح المجتمع المتكافل ، ولن يكون مجتمعا مرهوب الجانب، يرجي ويحذر ، حتى يستهدي بهدى الله الذي يضيء النهج ويهدي للتي هي اقوم ، وأين من ذلك ما قال فلان وفلان ؟!

وما يستوي وحي من الله منزل وقافية في العـالمين شرود !

والزواج – عقد بين طرفين لا يكره فيه احدهما على ما لا يريد، وهو فرض على المسلم القادر ، فمن تركه او تثاقل عنه ، فهو آثم ، إثم من ترك فريضة من فرائض الاسلام كما قال جملة من العلماء بينهم ابن حزم ..

اما غير القادرين فان رسول الله يخاطبهم بقوله « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة – مؤن الزواج – فليتزوج فانـه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » – اي خض للخصيتين واضعاف للرغبة في الجماع [١] فتح البخاري حـ ٧ ص ١٢٨ طبعة المطبعة الخيرية .

وقد سأل رسول الله صلوات الله عليه عكاف بن وداعة الهلالي: ألك زوجة ؟

---

(١) ومسلم جـ ٤ ص ١٢٨ مطبعة دار الطباعة العامرة .

قال : لا ، قال : ولا جارية ؟ قال : لا ، قال : وانت صحيح موسر ؟ قال : نعم والحمد لله يا رسول الله . قال : فانت من اخوان الشياطين . اما ان تكون من رهبان النصارى فالحق بهم ، واما ان تكون منا ، فاصنع كما نصنع ، فان من سنتنا النكاح . شراركم عزابكم ، ويحك يا عكاف . تزوج !! [١]

وما كان الاسلام بدعاً في الدعوة الى الزواج ، فهو وصية كل نبي ، ودعوة كل رسول ، وهو طبيعة الحياة التي لا تنهض بجنس واحد ، حتى يقاسمه فيها الجنس الآخر ، ويعملا معاً على ان تسير الحياة سيرتها التي يكون الاحياء فيها – ذكوراً وإناثاً – خلفاء عن الله في عمارة هذا الكون العظيم ! قال تعالى: «ولقد ارسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم ازواجاً وذرية[٢].

وقديماً اراد فرعون ان يبيد بني اسرائيل ، فمضى « يذبح ابناءهم ويستحي نساءهم » وكاد يفلح في استئصال شأفتهم ، لولا ان اقتضت رحمة الله نجاة موسى عليه السلام ، فكان ما اراد « وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون » [٣]

٢ – حكمة مشروعية الزواج

وحسبنا من الـزواج الاول – زواج آدم وحواء – قول الله تعالى « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيباً » . [٤]

اننا نلحظ بالنظرة الاولى في هذه الآية معنى الانسجام الذي لا يكون

---

(١) الاستيعاب لابن عبدالبر جـ ٣ ص ١٦٩ طبعة السلطان عبدالحفيظ .
(٢) الرعد : ٣٨
(٣) الاعراف ١٣٨ .
(٤) النساء : ١

بين شيئين ، كما يكون بين الزوجين ، ومن اجل ذلك عد الله الزواج من اعلام قدرته ، وشواهد عظمته فقال : « ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون»[1]

فلقد يكون الزوج من قطر ، وتكون المرأة من قطر آخر ، فيصنع الزواج المعجزة ، وهو يختصر الابعاد ويطوي المسافات ، ويسقط الفوارق ، فتكون الاسرتان اللتان تم بينهما الاصهار، اسرة واحدة ، تتعاطف وتتواصل، كجوارح الجسد الواحد !

قال الماوردي في « ادب الدنيا والدين » . ولذلك قيل المرء على دين زوجته – اي طبيعتها – لما يستنزله الميل اليها من المتابعة ، ويجتذبه الحب لها من الموافقة فلا يجد الى المخالفة سبيلاً ، ولا الى المباينة والمشاقة طريقاً » .

وهكذا كانت آثار الزواج الذي لم يستهدف غير هذه الغايات الشريفة – مع اعفاف الزوجين وحفظ الانساب والتناسل – ومن اجل الترابط بالمودة والرحمة ، اصهر رسول الله الى ابي بكر وعمر ، وزوج رقية وام كلثوم من ذي النورين ، واختار لبضعته فاطمة ابن عمه عليا رضوان الله عليهم .

وحين تضيق بالرجل فسيحات البلاد ، ويتبرم به بعض الناس ، ويأوى الى بيته مضطرب الحواس مبهور الانفاس ، تتلقاه هنالك نفس برة رضية ، تمسح تعبه اللاغب بالكلمة اللينة والوجه الذي يشرق بما بين جانحتي شريكة الحياة من حب ومودة واخلاص .

ولقد كانت خديجة رضي الله عنها رائعة حقاً ، حين دخل عليها رسول الله بعد الوحي الاول ترتجف بوادره – يرتعد من اثر الوحي – فقال : زملوني – غطوني – فبادرت بذلك خديجة دون ان تسأله ما حدث ، حتى قام من نومه . فقص عليها ان انساناً جاءه في غار حراء وقال له اقرأ فقال (ص) ما انا بقارىء

---

(١) الروم : ٢١

قال فضمني الى صدره حتى بلغ مني الجهد ثم كرر ذلك مرتين حين كنت اقول ما انا بقارىء حتى قال : إقرأ باسم ربك الذي خلق ... الآيات [1] ثم قال الرسول لخديجة : لقد خشيت على نفسي ، فقالت : كلا ، والله مـا يخزيك الله ابداً . انك لتصل الرحم ... وما زالت به صلوات الله عليـه حتى سكن جأشه واشارت عليه ان يأتي ابن عمها ورقة بن نوفل. [2]

وام سلمة كانت ناصحة بصيرة وهي تشير على الرسول ، في خلاف اصحابـه عن امره ، بعد صلح الحديبية فلم ينحروا او يحلقوا وقد دعاهم الى ذلك ثلاثاً !! فسألته ام سلمة : اتحب ذلك؟! اخرج ثم لا تكلم احداً من صحبك كلمة واحدة، حتى تنحر بدنتك ، وتدعو حالقك فيحلقك. وما كاد رسول الله يفعل ، حتى قاموا جميعاً، فنحروا وحلقوا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً وندماً !! [3]

ان الزواج شطر الدين ، به تحفظ الحرمات ، وتصان الكرامات، وتستحكم بين الناس الصلات وبه يبتغي النسل ، وتوضع الدعائم القوية لتواصل الحيـاة سيرها في تفاهم ونظام !. والذين يفرقون من الزواج ويتحامونه ، مؤثرين حياة الانطلاق ، وارخاء العنان لشهواتهم ، فارين من مؤن الزوجية وتبعاتهـا ومسئولياتها ، انما يقيمون الدليل على انحرافهم عن الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، وعلى خفة دينهم ، وضعف رجولتهم ، وفي الحديث « من تزوج فقـد استكمل نصف دينه فليتق الله في النصف الباقي » .[4]

يقول الاستاذ الاكبر الشيخ محمود شلتوت « وما الزواج في واقعـه ، الا ظاهرة من ظواهر التنظيم لفطرة اودعت في الانسان ، كما اودعت في غيره من

---

(١) صدر سورة إقرأ ..
(٢) صحيح البخاري طبعة بولاق جـ ١ ص ٣ .
(٣) الزرقاني على المواهب اللدنيه جـ ٢ ص ١٠٨–١٠٩ المطبعة الازهرية .
(٤) الطبراني في الاوسط من فيض القدير شرح الجامع الصغير ص ١٠٣ جـ ٦ .

انواع الحيوان ، ولولا الزواج الذي هو تنظيم لتلك الفطرة المشتركة بين الانسان والحيوان ، لتساوى الانسان مع غيره من انواع الحيوان في سبيل تلبية هـــذه الفطرة عن طريق الفوضى والشيوع ، وعندئذ لا يكون الانسان ذلك المخلوق الذي سواه الله ونفخ فيه من روحه ثم منحه العقل والتفكير ، وفضله على كثير من خلقه، واستخلفه في ارضه، وسخر له عوالم كونه ثم هيأ له مبادىء الروابط السامية التي يرتفع بها من حضيض الحيوانية البحتة وتدعوه الى التعاون مع بني نوعه في عمارة الكون وتدبير المصالح وتبادل المنافع » [1]

٣ – مطالب الناس في الزواج :

ما ينبغي ان يدفع عن الاصهار الى الاحرار ذو فضل ، بسبب قلة في المال ، او خفـــاء في المجتمع ، فلقد اعظم الرسول النكير في ذلك فقال : « اذا اتاكم من ترضون دينه وامـــانته فزوجوه الا تفعلوا تكن فتنة في الارض وفساد عريض » [2] .

ان الزواج شركة حقاً ، ولكنه شركة روحية ، لا صفقة تجارية ، فاذا جاء المال في ركب الفضائل التي لا بد منها في الزواج فمرحبـــاً به ، والا فسحقاً سحقاً .

كانت اخلاق رسول الله هى المفاخر التي قدمه بها عمــه ابو طالب في حفل زواجه من خديجة .

قال ابو طالب : « الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمــاعيل ، وجعل لنا بلداً حراماً وبيتاً محجوجاً وجعلنا القوام على الناس ثم ان محمـــد بن عبد الله بن اخي ، لا يوزن به فتى من قريش الا رجح به ، براً وفضلاً ، وكرماً وعقلاً ، وفخراً ونبلاً ، وان كان في المال قل ،فانما المال ظل زائل ،وعارية

---

(١) كتاب الاسلام عقيدة وشريعة للشيخ شلتوت ص ١٣١ .
(٢) الترمذي جـ ١ ص ٢٠١ طبعة بولاق

مسترجعة ، وله في خديجة بنت خويلد رغبة ، ولها فيه مثل ذلك وما فرضتم من الصداق فعليّ »[1] .

وكانت اخلاقه ـ صلوات الله عليه ـ هي حجة خديجة يوم قالت له : كلا والله ما يخزيك الله ابداً فقد اردفت تقول : « انك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق » .

والناس يزنون طالب الزواج ـ في اقطار وديار ـ بما يملك من مال ، لا بما يحسن من اعمال ، وبناط به من آمال ، وينظرون الى المرأة من زاوية ما تملك عاجلا ، وما تملك غداً من تراث الآباء والاجداد ، او من اجرها على اعمال تزاحم فيها الرجال بالمناكب في غبار المجتمع !! وقد نسي هؤلاء واولئك الميزان الذي وضعه الرسول بقوله : « من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله الا ذلاً ، ومن تزوجها لمالها لم يزده الله الا فقراً ، ومن تزوجها لجمالها لم يزده الله الا دناءة ، ومن تزوجها لم يرد الا ان يغض بصره ، ويحفظ فرجه ، بارك الله له فيها ، وبارك لها فيه »[2] .

قال المهاجرون : لما أنزل في الذهب والفضة ما أنزل « وددنا أنا علمنا اي المال خير فنتخذه ؟ فقال عليه السلام « ليتخذ احدكم لساناً ذاكرا وقلباً شاكراً وزوجة مؤمنة تعين احدكم على ايمانه » الف باء حـ ١ ص ٤٠٢ .

واني لأعجب من هؤلاء الذين ينثرون الآلاف والملايين في سبيل زواج لا تتكافأ فيه اعمار عبيد شهواتهم مع اعمار الضحايا اللواتي يقدمهن الآباء وولاة الامور على مذابح المطامع والاهواء ، ورحم الله شوقي اذ يقول في هذه الفاشية الخطيرة :

المال حلـّل كل غير محلـّل   حتى زواج الشيب بالأبكار

---

(١) الف يا للبلوى جـ ٢ ص ٢٢ : جمعية المعارف .

(٢) المنذرى الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٤٦ طبعة الحلبي .

ما زوّجَت تلك الفتاة وإنما   بيع الصبا والحسن بالدينار!

كان النـــاس في عصور الخير والنور لا يرعون الا الفضل والمروءة فيمن يختارون لكرائمهم ، ولا يتطاولون لغير ذات الدين التي تغالي بكريم خلالهــا اكثر مما تغالي بجمالها ، وما غناء جمال ينطفىء غداً ألـقُهُ ، ويتضاءل رونقـه حين تبقى شراسة اللسان ، وسوء المعاملة الى آخر الزمان ؟

إن الاخلاق لأصون لشرف المرأة ، واحفظ لأمانات الزوج ، واجلب لصفو نفسه ، مما يخلب الابصار من جمال مصنوع او مطبوع هو ـ وان كان امنية المتمني ـ مما يشغل صاحبه عن معالي الامور ، ويجعله غرضــاً لظالم الظنون وموصول الريب ، وقديمــاً اوصى احد الحكماء رجلاً فقال : تزوج واياك وذات الجمال البارع ثم أنشد :

ولن تصادف مرعىً مُونِقاً أبداً   الا وجدتَ به آثار منتجع !

وقد قال رجل للحسن : يخطب ابنتي الكثيرون فممن ازوجها ؟! فقال : « زوجها ممن يتقي الله فإنه ان احبها اكرمها وان ابغضها لم يظلمها »!! وخطب عبد الملك بن مروان لابنه الوليد– حين ولاه العهد–ابنة سعيد بن المسيب فضنّ بها عليه وآثر بها تلميذه ابا وداعة .

قال ابو وداعة : كنت اجالس سعيداً ففقدني اياماً ، فلما جئته قــال : اين كنت ؟ قلت توفيت اهلي فاشتغلت بها . فقال : ألا اخبرتنا فشهدناها ؟ قال ثم اردت ان اقوم فقال : هلا استحدثت أهلاً ؟! فقلت يرحمك الله، ومن يزوجني، وما املك الا درهمين او ثلاثة ؟؟ فقال : انا ، قلت وتفعل ؟! قــال نعم ، ثم تحمَّد وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وزوجني على درهمين او قال ثلاثة . قال : فقمت وما ادري ما اصنع من الفرح ، فسرت وجعلت اتفكر : ممن آخذ وممن استدين ؟ فصليت المغرب وانصرفت الى منزلي ، وكنت وحدي صائمــاً ، فقدمت عشائي افطر ، وكان خبزاً وزيتاً ، فــاذا بابي يقرع ، فقلت من هذا ؟ قال سعيد . فأفكرت في كل انسان اسمه سعيد الا سعيد بن المسيب ، فانه لم ير

اربعين سنة الا بين بيته والمسجد !! فقمت وخرجت ، فاذا سعيد بن المسيب ، فظننت انه قد بدا له ، فقلت يا ابا محمد ، الا ارسلت الي فأتيتك ؟ قال لأنت أحق ان تؤتى . فقلت : فما تأمر ؟ قال انك كنت رجلاً عزباً فتزوجت ، فكرهت ان ابيتك الليلة وحدك ، وهذه امرأتك ، فاذا هي قائمة من خلفه في طوله ، ثم اخذ بيدها ، فدفعها في البـاب ، ورد الباب ، فسقطت المرأة من الحياء ، فاستوثقت من الباب ثم تقدمتها الى القصعة التي فيها الزيت والخل ، فوضعتها في ظل السراج ، لكيلا تراه ، ثم صعدت الى السطح فناديت الجيران ، فجاءوني . فقالوا ما شأنك ؟! قلت ويحكم . زوجني سعيد بن المسيب بنته اليوم وقد جاء بها على غفلة ، فقالوا : سعيد بن المسيب زوجك ؟ قلت نعم وهـا هي في البيت قال .. فنزلوا اليها ، وجاءت امي فقالت وجهي من وجهك حرام ان مسستها قبل ان اصلحها في ثلاثة ايام ، ثم دخلت بها فاذا هي احفظ النـاس لكتـاب الله واعلمهم بسنة رسوله ، واعرفهم بحق الزوج ، ومكثت شهراً لا يأتيني سعيد ولا آتيه ثم اتيته في حلقته ، وسلمت عليه فرد علي السلام ، فلما تقوّض المجلس ، ولم يبق غيري قال : مـا بال ذلك الانسان ؟! قلت : خيراً يا ابا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدو . قـال ان رابك شيء فالعصا !! فانصرفت ووجه الي بعشرين الف درهم » [1] .

وما ازدحم الناس بباب سعيد لفرط مال ، او لجـمال ضربت بابنته فيه الأمثال ، ولكنهم ابتغوا بذلك ، المنبت الكريم ، والبيئة الصالحـة التي لا يزكو فيها غير انفس الفارس ، فالجمال الذي يخلب الألبـاب ويضل الصواب ، غير الجمال الحقيقي الذي تسجد في محاريبه البصائر ، وقديماً قيل : « ان المرأة الجميلة تسر العين ولكن المرأة الفاضلة تسر القلب » وما اكثر مـا تغرى الاعين بجمال يخفي وراءه قبيح النفوس !

جمال الوجه مع قبح النفوس كقنديل على قبر المجوسي !!

---

(١) الف با ج ١ ص ١١٩ ــ ١٢٠ .

وصلوات الله وسلامه على سيدنا محمد فهو يقول : « اياكم وخضراء الدمن . قالوا : وما خضراء الدمن يا رسول الله ؟ قال المرأة الحسناء في المنبت السوء »[1] وفي قوله « تخيروا لنطفكم فان العرق دساس[2] ما يدعو كلا الزوجين ان يختار اخاه فيءنور من الدين والاخلاق وكريم التصرفات التي يورثها الآباء للأبناء« فاللبن يعدى » كما في الأثر .

ولقد اسنن أبو الاسود الدؤلي على اولاده فقال : « لقد احسنت اليكم صغاراً واحسنت اليكم كباراً واحسنت اليكم قبل ان تولدوا » فلما سألوه كيف احسن اليهم قبل ان يولدوا ؟ قال اخترت لكم من الامهات من لا تسبون بها . وأنشد الرياشي :

وأول إحساني اليكم تخيّري   لماجدة الاعراق بادٍ عفافها !!

وما رشح بنت بائعة لبن للزواج من عاصم بن عمر بن الخطاب والانتقال الى بيت الخلافة ، الا اخلاقها وامانتها ، فلقد مر عمر بسوق الليل – وهي من اسواق المدينة – فرأى امرأة تبيع اللبن ومعها بنت لها شابة ، وقد همت العجوز ان تخلط لبنها بالماء وجعلت الشابة تقول يا امه لا تمذقيه – لا تخلطيه – ولا تغشيه ، فوقف عليها عمر ، فقال من هذه منك ؟! قالت ابنتي فأمر عاصماً فتزوجها »[3] بعد ان قال لأولاده « من يتزوج منكم فتاة لو كان لي في النساء ارب ما سبقني احدكم اليها !!!

٤ – القصد في المهور :

حث الرسول على عدم المغالاة في المهور بقدر حثه على الزواج ، فليست بناتنا سلعاً نغالي لها في الثمن ، ولكنها جواهر كريمة نبتغي لها من يصونها

---

(١) الجامع الصغير جـ ١ ص ١١٢ .

(٢) كشف الخفا جـ ١ ص ٢٧٢ طبعة القدسي : والمراد بخضراء الدمن : النبات الحسن الذي ينبت في ابوال الابل والغنم وابعارها التي تتجمع في مرابضها .

(٣) الميداني جـ ٢ ص ١٠٢ – ١٠٣ الطبعة الخيرية .

ويرعاها قبل ان ترغم أنوف أسر تخطف بناتهم من اجل الاسراف في المهور والرسول يقول « التمس ولو خاتماً من حديد » [1] ويقول « تزوجها على سورة كذا او على آية كذا من القرآن » . [2]

والمهر في الحقيقة رمز يعبر به الرجل عن رغبته في المرأة واعزازه لانسانيتها، ولمعاني سكنه اليها ، وسكنهـا اليه ، وهو معنى روحي يجل عن مجرد الشهوة الجنسية ، ولا يقادر بمال على اي حال .

والرسول يؤكد بوصاياه بالقصد في المهور ان اجهاد الزوج وتكليفه بما يشق عليه وهو في اول عهده بالزوجية يجعله متعباً معنى وقتاً طويلاً، وربما بغض اليه من اصهر اليهم مما ينافي حكمة الله « وجعل بينكم مودة ورحمة » وربما كان ذلك سبباً في تقويض دعائم الهناءة في هذا البيت الجديد ، وخير الامور اوساطها ـ كما يقول المعصوم صلوات الله عليه ـ وبينا يذهب بعض الآباء المذاهب البعيدة في ارتفاع المهور ، نرى نسوة يطالبن بالغاء المهر من اجل تشجيع الشباب على الزواج راجع مقترحات مؤتمر نساء افريقيا وآسيا المنعقد في القاهرة خلال شهر كانون الثاني « فبراير ١٩٦١ » ويقلن : اذا لم نستطع إلغاء المهور فلتكن في اضيق الحدود ، وهن بهذا العرض الاخير يأخذن بيسر الاسلام ، فهل يحرصن على معطياتـه ونفحاته في شتى الاتجاهات ؟!

ولقد لاحظ الاستاذ محمد جميل بيهم ـ في اقطار زارها ـ سهولة الزواج ، ووازن بين ذلك وبين عقبات ارتفاع المهور عندنا ، وقرر انـ سهولة الزواج هناك شجعت شباناً كثيرين على الزواج من اجنبيات، وانه نصح بعضهم بالعدول عن هذا ، وضرب لهم امثلة كثيرة مما شاهد من فشل الزواج بالاجنبيات وقال:

« وهذه ـ ناحية ارتفاع المهور ـ ناحية جديرة باهتمام المصلحين في البلاد العربية ، واهتمام الحكومات كذلك ، والاوطان العربية حافلة بالعزاب الذين

---

(١) هامش فتح الباري جـ ٧ ص ١٣٩ المطبعة الخيرية .
(٢) فتح الباري جـ ٧ ص ١٥٠ المطبعة الخيرية .

لا يمنعهم من الزواج الا تقاليد بالية ، واعتبارات مالية ، فحرام ان تبقى هـذه التقاليد تحول بينهم وبين ما يرغبون ، وتفضى بالتالي الى الفجور والدعـارة السرية » . [١]

٥ ـ امور لا بد منها:

خطب رجل من الموالي قرشية على عهد عمر رضوان الله عليه ، واجزل لهـا المهر ، فأباها عليه اخوها ، فلما بلغ ذلك عمر ، دعاه اليه ، وسأله ما منعك ان تزوجه ، فان له صلاحاً ، وقد احسن عطية اختك ؟ فقال القرشي :

ان لنا ـ يا امير المؤمنين ـ حسباً ، وانه ليس لها بكفء ، فقال عمر : لقد جاءكم بحسب الدنيا والآخرة . اما حسب الدنيا فالمال ، وامـا حسب الآخرة فالتقوى ، زوج الرجل ، ان كانت المرأة راضية ، فراجعها اخوهـا ، فرضيت فزوجها منه !!

وفي القصة مبادىء لا بد منها في اقامة حياة زوجية يصفو فيهـا الود ، ويتراخى العهد ، هي ـ مع المهر الذي اسلفنا فيه الكلام ـ الكفاءة التي نلحظ فيها ان لا ندع ثغرة تستطيع المرأة ان تنفذ منها للتعالي على زوجها ، والتعلل لعدم طاعته ، ثم رضا المرأة واختيارها ، ولقد جاءت امرأة الى رسول الله ﷺ فقالت : ان ابي زوجني من ابن اخيه ليرفع بي خسيسته . فقال : أجيزي نفذي ما صنع ابوك . فقالت : اني لا ارضاه ، فجعل الرسول الامر اليها ، فقـالت : قد اجزت ما صنع ابي ، ولكني اردت ان اعلم النساء ان ليس للآباء من الامر شيء[٢] » والرسول يلحظ في ذلك قول الله « .. فاذا بلغن اجلهن فلا جنـاح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف .. » ٢٣٢ البقرة ، وهذا لا يمنـع تدخـل الآباء حين تسيء المرأة الاختيار .

(١) اسرار ما وراء الستار ص ١٠٨ .

(٢) المبسوط جـ ٥ ص ٢ ، سنن النسائي جـ ٦ ص ٨٧ طبعة بولاق .

وذهب شيخ الاسلام ابن شبرمة امام العراق ـ في اعتبـــار رأي البنت ـ الى ان زواج البنت باطل ما لم تبلغ وتصارح برأيها فيمن يريدها .[1]

وقال ابن القيم « ان البكر البالغة العاقلة الرشيدة لا يتصرف ابوها في اقل شيء من ملكها الا برضاها، ولا يجبرها على اخراج اليسير منه الا باذنها،فكيف يجوز ان يخرج نفسها منها بغير رضاها؟ ومعلوم ان اخراج مالها كله بغير رضاها اسهل عليها من تزويجها بمن لا تختاره » .

والرسول يقرر مبدأ التعرف على الزوجة ، وتعرفها عليه ، على وجه كريم، لا كما كتب احد كتاب مصر على عهد فـــاروق « زواج على المكسر » ! فيقول النبي صلوات الله عليه « اذا خطب احدكم المرأة فقدر ان ينظر منها بعض مـــا يدعوه الى زواجها فليفعل » .[2]

وذهب بعض العلماء الى جواز ان يرى الخاطب مخطوبته على الحال التي تبدو فيها للآباء والاخوة ، وحجتهم في ذلك قول الرسول للمغيرة بن شعبة وقـــد خطب امرأة « انظر اليها فانه احرى ان يؤدم بينكما »[3] اي يديم الوفاق والمودةاللذين يكون الزاوج بدونها جحيماً لا يطاق! !وما اكثر ما يذكر الناس من زوجيات فشلت وخيبت آمال النساء والرجـــال الذين لم يتيحوا لابنائهم وبناتهم فرصة الاختيار البصير، ولم يشركوهم الرأي في امر يعود عليهم بخاصة، ويبوءون وحدهم باوزاره وعاره !!

اما احفال الزفاف .. فالاسلام يقرها، ما روعيت فيها آدابه، من التصون والاحتشام، وتوجيه ما ينفق فيها الى وجوه الخير او تقديمها للعروسين، ليصلحا بها من امرهما ، او يدخراها لأيام تجري على الناس بما يحتسبون وما لا يحتسبون!

وفي فتح القدير «والمختار انه ـ الزفاف ـ لا يكره،اذا لم يشتمل على مفسدة

---

(١) المبسوط حـ ٤ ص ٢١٢ .

(٢) عمدة القارى، جـ ٢٠ ص ١١٩ ونيل الاوطار جـ ٦ ص ١١٠ .

(٣) عمدة القارىء جـ ٢٠ ص ١١٩ والترق في جـ ٦ ص ٦٩ـ٧٠ .

دينية ، وفي الترمذي عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اعلنوا هذا النكاح ، واجعلوه في المساجد ، واضربوا عليه بالدفوف » وفي البخاري عنها قالت « زففنا امرأة الى رجل من الانصار فقال النبي « اما يكون معهم لهو فان الانصار يعجبهم اللهو » وروى الترمذي والنسائي عنه (ص) انه قال « فصل مابين الحلال والحرام الدف والصوت » والفقهاء يقولون الدف ما لا جلاجل له .[1]

قال الشوكاني بعد ايراد هذه الاحاديث « وفي الاحاديث دليل انه يجوز في النكاح ضرب الادفاف ، ورفع الاصوات بشيء من الكلام مثل « اتيناكم اتيناكم .. الخ» لا الأغاني المهيجة للشرور ، المشتملة على وصف الجمال والفجور، فان ذلك يحرم في النكاح كما يحرم في غيره ، وكذلك سائر الملاهي المحرمة » [2]

« قال أنس : ابصر النبي (ص) نساء وصبايا مقبلين من عرس ، فقام ممتناً – مرتاحاً – فقال اللهم انتم من احب الناس الي » . [3]

ومن نافلة القول ان السهرات الهائجة المائجة التي تبدو فيها اجساد النساء الا قليلا ، وقد أثقلت الخمر الرؤوس ورنحت الأجسام ، واستحلت الحرام ، وأطلقت الأيدي بالاموال على دور اللهو وعلى الغانيات والراقصات اللواتي يقهقه معهن الشيطان حتى الصباح .. ليست من الإسلام في شيء !!

لقد أمات الناس سنة الولائم في الأعراس ، وأقاموا على أنقاضها هذه السهرات ، ونسوا ان الرسول أولم حين تزوج من زينب – بشاة ، كما أولم – في رواية اخرى – في زواجه من غيرها بما يؤكل ! وأنزل الله فيمن شهدوا وليمة زينب واطالوا الجلوس قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم

---

(١) فتح القدير جـ ٣ ص ١٠٢

(٢) نيل الاوطار جـ ٦ ص ١٨٨ .

(٣) القسطلاني جـ ٨ ص ٨٥ .

فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق ... »[1].

وقال الرسول لاصحابه في احد الاعراس « انتهبوا انتهبوا » لما في ذلك من المرح والسرور ، وأوجب على من دعي ان يجيب ، ووصف الطفيلي الذي يغشي دور الناس غير مدعو اليها بقوله « دخل سارقاً وخرج مغيراً » .[2]

واوجب على من يشهد عرساً ان ينكر المنكر او يرجع ـ على الاقل ـ فقال « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقعد على مائدة يدار عليها خمر » .[3]

ولقد عمت البلوى بأم الكبائر ، ففشت في دور ، وشاعت في احيـــاء ، وجرت انهاراً في مناسبات ـ كانت لا تعرف ، شيئاً منها ـ ووجـدت مدافعين عنها ، يسمونها بغير اسمها ، ويذكرون لها من المنافع والفوائد ما لا ينهض إلا في رءوس الائمة العادين ، وما ينبغي ان ندخر وسعاً في انـكار هـــذا المنكر في الاعراس،وملتقى الناس « أتخشونهم فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين »[4].

اما بعد ، فان زواجاً يتم في هذه الاضواء ، وعلى تلك الركائز الإلهية يثمر اسرة مباركة ، تدعم جوانب الامة بنسل ميمون ، وتقر في الملأ الأعلى عـــين محمد صلوات الله عليه بعد ان حدد اهـــداف الزواج بقوله « تناكحوا تناسلوا تكثروا فاني مباه بكم الامم يوم القيامة » .

---

(١) سورة الاحزاب ٥٣ .
(٢) القسطلاني جـ ٨ ص ١٨٥-١٧٨ .
(٣) المصدر السابق ص ١٨٣-١٨٤ .
(٤) التوبة ١٣ .

عش الزوجية

١ – لبنة في صرح الاسرة :

عش الزوجية وديعة في اعناق الزوجين ، ينبغي ان يعملا على بقائه ونمائه ، وان يذودا اسباب وهنه واضطرابه – ما واتاهما جهد – وسبيل ذلك ، ان يعرف كلاهما دوره في هذه الغاية ، وان يؤدي واجبه بصدق وبصر ، فقد اوجب الله على الزوج والزوجة حقوقاً لن يرضى سبحانه عن احدهما الا بقدر ما يؤدي منها لشريكه ، وحين نرعى الحقوق والواجبات ، وتكون حقيقة ماثلة في البيت – وهو المجتمع الصغير – يكون الامل كبيراً في شيوعها في الحياة ، وهل المجتمع الا لبنات متراصة من الاسر يشد بعضها بعضاً !؟

ومن حق الزوجية التي تمت على كتاب الله وسنة رسوله ، وانشأت اسرة صالحة تضاف الى اخواتها في سجل امة محمد ، ان يذكر كلا طرفيها « الميثاق الغليظ » الذي واثقها الله به ، والغبطة الواسعة التي أثارها الاختيار والاصهار ، وان يلحظ التكامل الذي يمد احدهما به الآخر ، بعد ان قال الله تعالى « هن لباس لكم وانتم لباس لهن »[1] وما تعطيه هذه الآية من ان الرجل سياج للمرأة ، وانها سره وبطانته وخاصة اهله كذلك .

---

(١) البقرة : ١٨٧

٢- الرسول في بيته !!

يقول صلوات الله عليه « خيركم خيركم لأهله وانا خيركم لأهلي » [١] ومعنى ذلك ان فضل ذوي الفضل إنما يظهر في معاملة الاهل ، لا في السخاء على الاصدقاء في مجالس اللهو ، وليس من المروءة في شيء ان يُقتّر الرجل على اهله ويسيء عشرة شريكة حياته حتى ينقلب البيت من السلام الوادع الى محكمة تزور فيها الاخطاء ، وتفترى المعايب !!

والحديث يوجب رفق الرجل بالمرأة واحترام احاسيسها ومشاعرها ، وان يكون للمؤمنين اسوة حسنة في ذلك برسولهم صلوات الله عليه ، فلقد كان ابر زوج وأوفى عشير ، يخصف نعله ، ويرقع ثوبه ، ويحلب شاته « ويكون في مهنة اهله [٢] ولقد كن يتظاهرن عليه ، ويسألنه - احياناً - ما لا يستطيع حتى خيرهن الله تعالى بقوله « يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن سراحاً جميلاً وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجراً عظيماً »[٣] وقال النبي لعائشة لا تعجلي برأي حتى تستشيري ابويك فقالت أفيك استشير ابوي يا رسول الله ؟ اني اختار الله ورسوله والدار الآخرة ، وكذلك قال نساؤه اجمعين[٤] ».

وكان الرسول يلاعب عائشة ويسابقها . قالت : وكان لي صواحب يلعبن معي ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل ينقمعن - يستخفين- فيسربهن الي ليلعبن معي » .[٥]

---

(١) الترغيب والترهيب للمنذري جـ ٣ ص ٩٤ طبعة الحلبي .
(٢) الجامع الصغير جـ ٢ ص ٩٩ .
(٣) الاحزاب : ٢٨ - ٢٩
(٤) النسائي جـ ٦ ص ٥٥ طبعة بولاق .
(٥)سفر السعادةللشيرازي هامش كشف الغمة ص١٢٥-١٢٧ ونيل الاوطار جـ ٦ص٢٠٦

وكان اذا اراد سفراً اقرع بين نسائه ، فايتهن خرج سهمها ، خرجت معه ، ولم يقض للبواقي شيئاً .

قالت عائشة : «وكان لا يفضل بعضنا على بعض في مكثه عندهن في القسم» وقل يوم إلا طاف علينا جميعاً فيدنو من كل امرأة — من غـــير مسيس — حتى يبلغ التي هو في نوبتها ، فيبيت عندها » . [1]

ان الزوجة احدى بنات آدم و « كل بني آدم خطاء » [2] كما قـال المعصوم صلى الله عليه وسلم ، وهن في هذا المعنى وفي غيره « شقائق الرجـــال » [3] من الحكمة ان ننهضها من كبوتها،وان نتجاوز عن هفوتها— ما لم تثلم عرضاً او تخدش شرفاً — وان نصرفها عما نكره بالحكمة والموعظة الحسنة ، فمما ادب الله بـــه المؤمنين « وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً » . [4]

ولقد قسم الله صفات الكمال بين عباده ، وجعل في كل انسان فضيلة ، قـد تعفى على هناته ، وتربو على سيئاتـــه ، وفي ذلك يقول النبي « لا يفرك مؤمن مؤمنة إن سخط منها خلقاً رضي آخر » . [5]

كان كرام الناس — عبر التاريخ — وما يزالون حتى اليوم ، اصبر من عرفت الدنيا على اذى زوجاتهم ، وكانت امرأة سقراط سليطة اللسان ، تخز به وتدمي ، واشد ما كانت تستطيل به ، على زوجها ، حتى ضاق ذرع طلابه بذلك ، وخافوا ان تصرفه شراستها عن رسالته الكبرى ، فرغبوا اليه ان يطلقها ، ولكنه ابى عليهم ما ارادوا وقال : كيف اطلق امرأة تعلمني فضيلة الصبر ؟! وكانت ربما

---

(١) زاد المعاد جـ ١ ص ٤٠ طبعة صبيح .
(٢) الجامع الصغير جـ ٢ ص ٧٩ .
(٣) المنذري جـ ٣ ص ٥١ .
(٤) النساء : ١٩
(٥) المنذري جـ ٣ ص ٥٠ لا يفرك : لا يكره .

امعنت في اذاه حتى ترميه آخرة امرها باناء فيه ماء ، فيقول : ما زلت تبرقين وترعدين حتى امطرت ؟!

وفي تاريخ الاسلام ان عمر بن الخطاب قال : « والله ان كنا في الجاهلية ما نعد للنساء امراً ، حتى انزل الله فيهن ما انزل ، وقسم لهن ما قسم ، فبينا انا في امر ائتمره ، اذ قالت لي امرأتي ، لو صنعت كذا وكذا . فقلت لها: ومالك انت ولما ههنا ؟ وما تكلفك في امر اريده ؟ فقالت : عجباً لك يا بن الخطاب . ما تريد ان تراجع انت ، وان ابنتك لتراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يظل يومه غضبان ؟! فأخذت ردائي ، ثم انطلقت حتى ادخل على حفصة . فقلت لها : اي بنيه . إنك لتراجعين رسول الله حتى يظل يومه غضبان ؟ قالت .. والله إنا لنراجعه !!

ثم خرجت ودخلت على ام سلمة ، لقرابتي منها ، فكلمتها ، فقالت : عجباً لك يا بن الخطاب . قد دخلت في كل شيء ، حتى تبتغي ان تدخل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وازواجه ؟!!

فأخذتني اخذاً كسرتني به عن بعض ما كنت اجد . »[1]

دب الخلاف في كل بيت ، وأوغل في كل اسرة ، وعرف منازل الانبياء والمرسلين ، والهداة الراشدين ، ولكنهم كسروا مده وردوا عاديته — من غير هوادة — في وجه الشيطان ، الذي ينزع بين الاهل من غير هوادة كذلك .

ولقد كان في الامام علي شدة على السيدة فاطمه ، فقالت يوماً ، والله لأشكونك الى رسول الله ، فانطلقت ، وانطلق علي بإثرها ، فقام بحيث يسمع كلامهما ، فشكت للرسول غلظ علي ، وشدته عليها ، فقال يا بنية اسمعي واستمعي واعقلي انه لا إمرة لامرأة لا تأتي هوى زوجها ، وهو ساكت .

قال علي فكففت عما كنت اصنع ، وقلت والله لا آتي شيئاً تكرهينه

---

(١) مسلم المجلد الثاني حديث ٣١ طبعة الحلبي .

ابداً » . [1]

٣ ـ قوامة الرجال ودرجتهم :

وما اجدر الرجال بالقوامة ، وهي الدرجة التي جعلها الله لهم على النساء نظير التبعات الكثيرة والمهام الملقاةعلى عواتقهم في قوله تعالى « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم ..» وهو تفضيل لا يغض من قدر المرأة ، وإنما يقرر ضرورة المسؤولية التي تفرضها الحياة في كل شركة تقوم بين افراد ، انهم يجعلون فيها المتحدث الرسمي ، ويحددون من له حق امضاء العقود ، والرجل بفطرته التي فطر عليها اقدر على مواجهة الظروف المختلفة التي تواجهها الاسرة ، فاذا شذت القاعدة ، وانفقت المرأة ، ودبرت شؤون الاسرة ، فما اسرع ما يضطرب الامر ، وتجري الاحوال على غير هدى !!

وما اعدل الاسلام وهو يقرر حق المرأة على زوجها ، حين يقرر حقه عليها ، في آية واحدة ، فيقول تعالى « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة » [2] وهو عدل تؤكده آيات القرآن التي تقول « بعضكم من بعض» آل عمران ١٩٥ ، « من عمل صالحاً من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة .. » النحل ٩٧ أفلا تسد هذه الآيات بين « الشقائق » كل ثغرة ينفذ منها الذي يوسوسون ويدعون الى التحاقد ؟!

وللمرأة على زوجها حقوق فصلتها السنة ، قال معاوية بن حيدة رضي الله عنه قلت يا رسول الله : ما حق زوجة احدنا عليه ؟ قال : ان تطعمها إذا طعمت ، وتكسوها إذا اكتسيت ، ولا تضرب الوجه ، ولا تقبح ، ولا تهجر الا في البيت » [3] .

---

(١) طبقات ابن سعد ج ٧ ص ١٦ .
(٢) البقرة : ٢٢٨ .
(٣) المنذري ج ٣ ص ٥١ .

وروى الحافـظ المنذري في الترغيب عن طريق ابن ماجة والترمذي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبة الوداع بعد ان حمد الله واثنى عليه وذكر ووعظ ثم قال : الا واستوصوا بالنساء خيراً فانهن عوان – اسيرات – عندكم ، ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك ، الا ان يأتين بفاحشة مبينة ، فـان فعلن فاهجروهن في المضاجع ، واضربوهن ضرباً غير مبرح فان اطعنكم فـلا تبغوا عليهن سبيلاً ، ألا ان لكم على نسائكم حقاً ، ولنسائكم عليكم حقاً ، فحقكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم من تكرهون ، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون ، ألا وحقهن عليكم ان تحسنوا اليهن في كسوتهن وطعامهن » [1]

وروي في باب الترغيب في النفقة على الزوجة والعيال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « دينار انفقته في سبيل الله ودينار انفقته في رقبة ، ودينـار تصدقت به على مسكين ، ودينار انفقته على اهلك ، اعظمها اجراً الذي انفقته على اهلك » [2]

وكان ابن عباس رضي الله عنـه يقول : « والله اني لأتزين لامرأتي كما احب ان تتزين لي » !!

وما اولى الزوجة باعزاز الله، ورعاية الزوج،حين تسلس له قيادها، وتطيعه الطاعة التي لا يوجب عليه الانفاق عليها سواها .. روى ابن ماجة والترمذي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أيما امرأة ماتت وزوجها عليهـا راض دخلت الجنة » . [3]

وفيما اتفق عليه البخاري ومسلم من حديث سعد بن ابي وقـاص « وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بهـا وجه الله إلا أجرت عليهـا حتى اللقمة تضعهـا في

(١) الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٥١ .
(٢) المصدر نفسه ص ٦١ .
(٣) المصدر نفسه ص ٥٢ .

فم امرأتك ». [1]

اوجب الاسلام النفقة للمرأة على الرجل ، وهي في بيت الزوجيـة — ولا نقول بيت الطاعة الذي يثير في نفوس المتحدثات عن قضية المرأة حواساً ، ويبعث عناداً وشماساً ، وأوجب عليها في مقابلة ذلك طاعتها له ، فاذا نشزت ، وتركت بيت الزوجية بـــلا إذنه بغير وجـــه شرعي « او خرجت الى حرفتها رغم منع زوجها ص ١٥٨ المبادىء الشرعية للدكتور صبحي المحمصاني » فـان ذلك يسقط نفقتها ، حتى تنزل على امر الزوج وتلتزم طاعته ..

قال : ولكن لا تجبر الزوجة على طاعة زوجها فيما كان غير مباح شرعاً ، كارتكاب الفواحش ، او الجرائم ، او كترك فرائض الدين ولا فيما كان تعديـاً على حقوقها الشرعية كارغامها على اعطائه مالهـــا ، او على التبرع به ، او على التصرف به على شكل آخر » . [2]

فهل يطالب الرجال بالنفقة قبل ان نطالب بالطاعة ؟!

ان ام المؤمنين عائشة تقول لامرأة « ان كان لك زوج فاستطعت ان تقلعي عينيك فتصنعيها احسن مما كانتا فافعلي » . [3]

وكان رسول الله يستأذن عائشة في مبارحة فراشها في ليلتهـــا لعبادة ربه ويقول « يا ابنـــة ابي بكر ذريني اتعبد لربي فتقول : « يا رسول الله اني احب قربك » ولكني اوثر هواك » [4] .

وكانت تتبعه في ليلتها — رضي الله عنها — انى ذهب ، حتى يكون خالصاً لها صلوات الله عليه . [5]

---

(١) القسطلاني جـ ٤ ص ٤٧٢ .
(٢) المبادىء الشرعية ص ١٠٦ .
(٣) طبقات ابن سعد جـ ٧ ص ١٣ — ٤٧ طبعة المانيا .
(٤) الف باء للبلوي جـ ٢ حديث عائشة .
(٥) المصدر المذكور .

وتلح عليها غيرة المرأة كلما تحفى بذكر خديجة ، وصواحب كن يزرن بيت النبي أيام خديجة فتقول.. وما تذكر من عجوز قد ابدلك الله خيراً منها؟! فيجيبها . كلا والله ما ابدلني الله خيراً منها . لقد آمنت بي اذ كفر بي الناس ، وصدقتني اذ كذبني الناس ، وواستني بنفسها ومالها ، ورزقني الله منهـــا الولد ولم يرزقني ولداً من غيرها » . [١]

هذا هو المكان الطبيعي الذي تحتله المرأة الوفية من قلب زوجهـــا بودادة وحب !!

وتعالوا نقف وقفة خشوع وإكبار امام اسماء بنت يزيد الانصارية .

لقد جاءت رسول الله بين اصحابه فقالت .. بأبي انت وامي يا رسول الله . انا وافدة النساء اليك ، ان الله عز وجل بعثك الى الرجال والنساء كافـــة ، فآمنا بك وبإلهك، وإنا معشر النساء محصورات مقصورات، قواعد في بيوتكم، وحاملات اولادكم ، وانتم معاشر الرجال فضلتم علينا بالجمعة والجماعة ، وعيادة المرضى ، وشهود الجنائز ، والحج بعد الحج ، وافضل من ذلك الجهاد في سبيل الله وان احدكم اذا خرج حاجاً او معتمراً او مجاهداً ، حفظنـــا لكم اموالكم ، وغزلنا لكم اثوابكم ، وربينا لكم اولادكم، أفنشاركم في الاجر والثواب ؟!

فسأل الرسول اصحابه . هل سمعتم مسألة امرأة قط احسن من مسألتها في امر دينها ، من هذه ؟! فقالوا .. ما ظننا ان امرأة تهتدي الى مثل هذا !!

فقال صلوات الله عليه لأسماء : افهمي ايتها المرأة ، وأعلمي من خلفك ، ان حسن تبعُّل المرأة لزوجها. وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك كله» . [٢]

٤ ـ الاسلام بلغ المدى في تكريم المرأة :

بلغ الاسلام المدى في تكريم المرأة فجعل لها حضانة اولادها ، حين تفترق

---

(١) البغوى في المصابيح وفي كشف الغمة ص ٨٧ جـ ٢ .

(٢) في ترجمتها من الاستبصار وفي الدرر واللآليء للشيخ الانسي ص ٢٣٨ .

عن زوجها ، ثم لأمها ، قبل ان يجعلها للزوج او للنساء من اهـــله ، واشترط لمصلحة الاولاد في الحاضنة : شروط الحريـــة والبلوغ والعقل ، والقدرة على صيانة الصغار وتربيتهم ، وان تكون مأمونة في سيرتها ، غير متزوجة باجنبي من الصغير ، واسقط حق الفاسق الماجن في حضانة البنت الصغيرة ، على حين لم يسقطها عن الام غير المسلمة بالنسبة للولد المسلم إلا اذا اصبح يفهم معنى الدين ، ويخشى عليه ان يألف غير دينه » . [1]

ولقد حرص الاسلام على استقلال شخصية المرأة ، على عكس ما هي عليه في ظل الحضارة المادية والنور الصناعي في اوروبا وغيرها ، فهي هناك — وفي بيوت ببغاوات اوربا بيننا — مدام فلان ، بينما ينسبها الاسلام الى ابيها قبل ان يقول الرسول يابنة ابي بكر ذريني اتعبد لربي .. والى ان تقوم الساعة !!

وحرية المرأة في التملك والتصرف في مالها بدون توقف على رأي الزوج من دلائل تكريم الاسرة للمرأة .. يقول الدكتور الشيخ مصطفى السباعي :

« فالمرأة لا تزال تنتسب الى عائلتها وتحمل اسم ابيها ، وهي مستقلة تمام الاستقلال في شئونها المالية الخاصة ، لا سلطان لزوج ولا اب عليها في هــذه الشئون ، تبيع وتشتري وتؤجر وتستأجر ، وتتصرف سائر التصرفات التي تحتاج الى الاهلية الكاملة في المعاملات » .

« وهذا حق لم تصل اليه المرأة الفرنسية حتى اليوم ، فلقد كانت في القانون المدني الفرنسي حتى عام ١٩٣٨ قاصرة كالصبيان والسفهاء ، لا يجوز ان تتصرف في اموالها الخاصة إلا باذن زوجها ، وموافقته ، ومع ان القانون الذي صدر عام ١٩٤٢ قد رفعها من هــذه المرتبة المهينة ، وسمح لها ان تتصرف بريعهــا الشخصي ، الا انه لا يزال يمنعها — بموجب نظام الاموال المشتركة — من كثير من التصرفات ، الا باذن زوجها ، حتى ان اذن المحكمة لا يكفي ، وهذا يجعلها

---

(١) تراجع صفحتا ٥٨—٥٩ من المبادىء الشرعية للدكتور صبحي المحمصاني .

– بلا ريب – دون مكانة المرأة المسلمة في استقلال شخصيتها ، واكتمال اهليتها، ولهذا قال الكاتب الفرنسي رينولد بعد صدور قانون عام ١٩٤٢ « ان حلم المرأة الفرنسية واملها لم يتحققا الى الآن » . [١]

ويقول الاستاذ سيد قطب « وحسب الاسلام ما كفل للمرأة من مساواة دينية ، ومن مساواة في التملك والكسب وما حقق لها من ضمانات في الزواج باذنها ورضاها ، دون إكراه ولا إهمال ، وفي مهرها « فآتوهن اجورهن فريضة » النساء آية ٢٤ وفي سائر حقوقها الزوجية ، زوجة او مطلقة « فأمسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا » البقرة ٢٣١ « وعاشروهن بالمعروف » النساء – ١٩ » . [٢]

٥ – مسئوليات في عش الزوجية :

يقرر الاسلام مسئولية الرجل والمرأة في حديثه الصحيح « ... والرجل راع في اهل بيته وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيتها ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » . [٣]

وقوله : « ان الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ ام ضيع حتى يسأل الرجل عن اهل بيته » . [٤]

وصدق الله العظيم « يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة ... » . [٥]

ومسئولية الرجل تتسع للتوجيه الديني في الاسرة واباحة اكبر قدر ممكن

---

(١) مقال مبادىء عامة في الزواج ص ٥٣٠ من المجلد السادس لمجلة « المسلمون » .
(٢) العدالة الاجتماعية في الاسلام ص ٥٥ .
(٣) صحيح البخاري ج ٦ ص ١٤٥ طبعة بولاق .
(٤) المنذري ج ٣ ص ٦٥ .
(٥) التحريم – ٦ .

من الثقافة والتربية لافرادها، وفي الأثر « ما لقي الرجل ربـه بذنب اعظم من جهالة اهله » والناس يعرفون ما يصير اليه امر الطعام الشهي والشراب الروي، والثياب الجياد حين لا يكون مصير الجهل، الذي لم نبدد سحبه عن الاولاد، غير خزي الدنيا وسوء العاقبة .

ولقد اوجب الاسلام على الرجل والمرأة ان يصونا بيتهما من تردد الهادمين والهادمات عليه ، فما اكثر الذين يغشون بيوت الناس وملء ثيابهم غدر ومكر، فيفتلون لهما في الذروة والغارب حتى يفرقوا بين المرء وزوجه، ويفصموا عرى الزوجية .. والمرأة الكيسة هي التي تقول للمفرقين بين الاحبة ، البـاغين العيب للبرآء « ارجعوا » وكذلك يفعل الرجل البصير ! .

وما اوفر سداد هذه المرأة التي دخلت عليها زائرة بعد ان سافر زوجها فسألتها – وهي تصطنع الرفق والحدب عليها – كم ترك زوجك من نفقة ؟! فقالت : يا هذه ان زوجي كان اكالاً ولم يكن رزاقاً ، ذهب الأكال وبقي الرزاق !!!

وعش الزوجية يضع في عنق الزوجين مزيـد الحرص عليـه والضن به على دواعي الانهيار والدمار ، فيكون المعروف قائد الرجل وهاديه في امور بيته ، ويكون المعروف هو دليل المرأة وسبيلها في كل ما تتناول من شئون الاسرة ..

يقول الاستاذ الاكبر الشيخ محمود شلتوت في قوله تعـالى « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف » .

« والآية ترشد ارشاداً واضحاً الى ان الاساس الذي يرجع اليـــه في تقرير الحقوق والواجبات إنما هو « العرف » الذي تقضي بـــه فطرة المرأة وفطرة الرجل ، وشأن ما بينهما من المشاركة والاجتماع ، وقد تكلم الفقهاء كثيراً في حق الرجل على المرأة وحق المرأة على الرجل ، والحق الذي تهدي اليه الفطرة في شأن الزوجين هو ما قضى به النبي صلى الله عليه وسلم بين علي وابنته فاطمة، قضى على ابنته بخدمة البيت ورعايته ، وعلى زوجها بما كان خارجاً عن البيت من عمل فعليها تدبير المنزل ورعاية الاطفال ، وعلى الرجل السعي والكسب ،

وبهذا التوزيع تتحقق المماثلة التي قررها القرآن في الآية الكريمة » . [١]

٦ — هل تعمل المرأة المتزوجة ؟!

حق الانثى في التعلم مقرر في الاسلام[٢] ، وهو لا يمنعها من العمل ان دعت اليه ضرورة منحاجة الحياة اليها او حاجتها هي حين تحرم ممن جعلها فيكفالتهم من أب او أخ او زوج او ابن او قريب ، بشرط ان يكون عملاً يلحظ أنوثتها ، وان تتزين فيه — متعلمة او عاملة — بلباس التقوى ، والضرورة تقدر بقدرها ، وما اغني الكريمة على نفسها وعلى قومها من ان يغبر المجتمع — وهو على ما نعرف من بعده عن الاسلام — وجهها بغباره الكثيف .. وانها لظاهرة شديدة الخطورة تلك التي تتفتح فيها كل الابواب للمرأة ، وتوصد في وجه اخيها الرجل حين تتماثل وسائلها التي لا تتماثل الا في النزر اليسير !!

وما نغمط بذلك الفرائد اللواتي فتحن ابواب المجد بثقافتهن وتصونهن عن مظاهر التبذل ، وبيننا ممن يرفعن رؤوسنا إعزازاً وإكباراً كثيرات ، سيذهبن بمزيد الثقة ما دمن يؤمن باخلاص الذين يذكرونهن بوصاياالاسلام وتعاليمه بكل حال ! واری — وقد اجملت في هذه الكلمات رأيي — ان افسح المجال لنساء ورجال يسهمن في جلاء الحقيقة التي يماري فيها كثيرون .. يقول الاستاذ سيد قطب « ويجب ان لا ننسى التاريخ ، وان لا نفتن بالقشور الخادعة، التيتعاصرنا اليوم ، يحسن ان نذكر ان الغرب اخرج المرأة من البيت لتعمل ، لأن الرجل هناك نكل عن كفالتها وإعانتها إلا ان يقتضيها الثمن من عفتها وكرامتها — عندئذ فقط اضطرت المرأة ان تعمل .

ويحسن ان نذكر انها حين خرجت للعمل ، انتهز الغرب المادي حاجتها ، واستغل فرصة زيادة العرض ليرخص من اجرها ، وليستغني اصحاب الاعمال بالمرأة الرخيصة الاجر عن العامل الذي بدأ يرفع رأسه ويطالب بأجر كريم .

---

(١) الاسلام عقيدة وشريعة للاستاذ الاكبر ص ١٤٥ .

(٢) وستجد تفصيل ذلك في باب « للأولاد في ذممنا حقوق » .

«وحين طالبت المرأة هناك بالمساواة،كانت تعني – اولاً وبالذات – المساواة في الاجور ، لتأكل وتعيش ، فلما لم تستطع هـذه المساواة ، طالبت بحق الانتخاب ليكون لها صوت يحسب حسابه ، ثم طالبت بدخول البرلمانات ليكون لها حق ايجابي في تقرير تلك المساواة » . [1]

ولقد نشرت جريدة الاخبار في باب « اخبار حواء » بتاريخ ١٩٥٣/٣/٨ .

« اذاعت باحثة اجتماعية انجليزية -- اخيراً – بعد استفتاء اجرته بين ثمانمائة امرأة عاملة : ان المرأة ينقصها الطموح، وان ذلك هو سبب تفوق الرجل عليها في ميدان الاعمال .. ثم قالت هذه الباحثة ..

« ان المرأة العاملة تشغلها امورها الشخصية فقط ، فهي تعنى بملابسها وتصفيف شعرها ... » !!

وفي تاريخ ١٩٥٣/٣/٩ نشرت الجريدة تحت عنوان « فكرة » لعلي امين :

« كنت دائماً من انصار اشتراك المرأة في الحياة العامة ، وكنت انادي : ان على الزوجة ان تبحث عن عمل تكتسب منه حتى تضاعف دخل الاسرة ، وترفع مستوى المعيشة في البلاد ، ولكنني قرأت اليوم في جريدة الايفننج ستاندارد ، بحثاً للدكتورة ايدا إيلين بينت فيه : ان سبب الازمات العائلية في امريكا ، وسر كثرة الجرائم في المجتمع ، هو ان الزوجة تركت بيتها لتضاعف دخل الاسرة فزاد الدخل وانخفض مستوى الاخلاق » .

« وتنادي الخبيرة الامريكية بضرورة عودة الامهات فوراً الى البيت،حتى تعود للاخلاق حرمتها ، وللابناء والاولاد الرعاية التي حرمتهم منها رغبة الام في ان ترفع مستواهم الاقتصادي » .

وقالت الدكتورة إيلين « إن التجارب اثبتت ان عودة المرأة الى الحريم ، هو الطريقة الوحيدة لإنقاذ الجيل الجديد من التدهور الذي يسير فيه » !!

---

(١) العدالة الاجتماعية في الاسلام ص ٥٦ .

وقال علي امين : « ولا شك ان غياب الام عن بيتها قد اثر تأثيراً خطيراً على النشء الحديث ، وهدم التقاليد التي كانت تعتمد عليها الاسرة ، ولكن هل معنى هذا ان تعود المرأة الى سجنها القديم ؟ وهل يمكن للمرأة التي ذاقت طعم الحياة العامة ، ان تعود الى المطبخ ? وتقضي وقتها في تقشير البطاطس، وغسل الصحون ؟! اهـ

وتساؤلات علي امين هذه بعد ما قرر من الاثر الخطير لغياب الام عن بيتها في النشء ، وفي هدم تقاليدنا الصالحة، هي حوافز بعض النسوة الى الاندفاع في التيار الذي يرضي علي امين وطلاب الهوي في كل مجال !!

وامضى في هذه السبيل فألخص كلاماً لمحررة «مع المرأة» في جريدة الاهرام.

١ – قالت تحت عنوان « إطلاق التشنيعات على المرأة العاملة » انهم في انجلترا طعنوا المرأة العاملة في انوثتها ، بعد ان عجزوا عن ردها عن العمل ، واقاموا استفتاء بين عدد كبير من الرجال من مختلف الطبقات لمعرفة رأيهم في اهم الصفات التي تعبر عن انوثة المرأة، وادعوا ان نتيجة الاستفتاء كانت كالآتي:

أ – طبقة العمال قالت : ان الانوثة تبرز في الفتاة التي تتدلل ، وتتمنع في نفس الوقت ، فتفر من الرجل ان قرب منها واذا ابتعد عنها عادت من نفسها قبل ضياع الفرصة !

ب – واتفق الفنانون على ان الفتاة الهادئة ، هي الاكثر انوثة ، لأنها توحي بالضعف ، والضعف هو الانوثة !

جـ – اما الموظفون والطلبة الجامعيون الذين هم اكثر احتكاكاً بالمرأة ، فقد اتفقوا على ان الانوثة لا تتمتع بها الا المرأة التي تجلس في بيتها ، حيث ترعى اولادها بنفسها ، وتقوم بجميع اعمال المنزل ، اما المرأة العاملة ، فهي مجردة نهائياً من الانوثة ، وكان هذا رأي الاغلبية هناك !

قالت المحررة : والآن اذا فرض وسئل الرجال هنا نفس السؤال عن رأيهم

في الصفة التي تعبر عن انوثة المرأة ترى هل نسمع نفس الجواب ؟!

٢ ــ وتحت عنوان « محاولة اخرى لهدم المرأة » في بابها « مع المرأة » قالت.ــ

محاولات هدم المرأة العاملة انتقلت هذا الاسبوع من انجلترا الى امريكا ، فقد اجتمع اعضاء الكونجرس الامريكي لمناقشة موضوع منع الام التي لديها اطفال من الاشتغال مهما كلفها ذلك !!!

قال عضو ــ يبرر المنع ــ ان اشتغال الامهات يسبب مشكلات اجتماعية واقتصادية لا حصر لها !

وقال آخر : ان الله عندما منح المرأة ميزة انجاب الاولاد ، لم يطلب منها ان تتركهم لتعمل في الخارج ، بل جعل مهمتها البقاء في المنزل لرعاية هؤلاء الاطفال . .

وقال ثالث : ــ ان المرأة تستطيع ان تخدم الدولة حقاً،اذا بقيت في البيت الذي هو كيان الاسرة !

وقال رابع : ــ انه لمن الواجب اتخاذ قرار سريع بمنع المرأة التي لديها اطفال دون الثامنة من العمل !

وقال خامس: ــ ان الام كالفيتامين،اذا حرم الاولاد منها،مرضوا وماتوا!!

واتفقوا في النهاية على السماح للمرأة بالتعليم ، حتى تفيد اولادها مستقبلاً ، اما العمل فلا !!

قالت المحررة : وانا ارد على هؤلاء ومن سيقلدهم هنا ، باننا نعتبر هذه الثورة ، تنفيساً عن الشعور بالغيرة من المرأة الذى بدأ يجتاح بعض الرجال ، ويملأ نفوسهم بالخوف من تفوقها عليهم !

٣ ــ وقالت في بابها ــ مع المرأة ــ تحت عنوان « حملة التشنيعات وصلت الى هنا » !!

نشرت على مرتين ما دار في انجلترا وامريكا وتساءلت عن الرأي هنا ، وجاءتني مئات الردود ، فأدركت ان الحملة ليست وقفاً على الخارج ، ولكنها ممتدة هنا ايضاً ، وان لم تأخذ شكل العلانية !

وقالت : لقد تحداني بعضهم هل اجرأ على نشر آرائهم التي ارسلوها عن المرأة العاملة باعتباري واحدة منهن؟! ولما كنت عند رأيي من ان هذه الزوبعة مصدرها كما قلت خوف الرجال من منافسة النساء ، فاني اعتبر ان كل هجوم يشن عليها هو اعتراف صريح بنجاحها وتفوقها ، واعتراف صريح بحقدهم عليها بعد هذا النجاح ..

وقالت « الخصم والحكم » ، والطريقة التي كتبت بها هذه الردود تدل على هذا بشكل لا يقبل المناقشة ولذلك لا اخشى نشرها !!

قال اكثرهم مثلاً ، ان المرأة العاملة ترث بطبيعة عملها ومسئولياته ، شذوذاً جنسياً تفقد فيه صفات جنسها دون ان تكتسب صفات الجنس الآخر ، فتتحول بشرة وجهها الناعمة الى اديم متيلف[1] ، وتتحول العيون الساحرة الحالمة الى عيون متيقظة ، توحي بالملل والقلق ، ويتحول قوامها من غصن البان ، الى عود الزان ، ويتحول الصوت الرقيق ، والنبرات العذبة الى صوت سليط ، وعبارات فظة ... الخ

ثم قالت .. وبما ان هذا لم – ولن – يحدث ، فيعتبر من قبيل التشنيع ، الذي لم – ولن – يمنع المرأة العاملة من ان تتقدم في ثقة واطمئنان ..

٤ – وقالت في عدد آخر في بابها « مع المرأة » تحت عنوان « قولي الحقيقة .. المرأة العاملة تتمنى ان تعود امرأة » .

« توليت المرافعة في قضية خاسرة ، ودافعت عن مكانة المرأة العاملة وانوثتها ، ولكن يبدو انني سأكف عن مرافعتي بعد ان تبينت انني خسرت القضية ، بهذا

---

(١) وجه لا نضارة فيه .

الجواب الذي وصلني من واحدة منا ، صاحبته سيدة ، تشغل مركزاً محترماً وتعمل من خمس وعشرين سنة ! تقول لي بالحرف الواحد ..

« إما انك تخدعين نفسك ، وإما انك ما زلت في اول سنوات العمل . ان الرجال على حق فيما يقولون ، فالمرأة العاملة تفقد انوثتها فعلاً بالعمل ، وقد يدهشك انني اتمنى بعد – ان امضيت مدة طويلة في العمل المضني واشعر ان غيري كثيرات يشاركنني هذا التمني – ألا اخرج من بيتي ، وألا اترك اولادي صباح كل يوم لأذهب الى مكتبي ولكنني اعمل واشقى ، لافقد انوثتي فعلاً في سبيل العند . انني مثلك اخشى ان يقول الرجال ؛ اننا تراجعنا عن ميدان العمل وفشلنا ، ولذلك فأنا وغيري نضحي بانفسنا لكي نغيظ الرجال . قولي الحقيقة : ان المرأة مهما تقدمت في عملها ، فهي لا تحب ان تصبح رجلاً ، بل تتمنى ان تتمتع بانوثتها الى اقصى حد !! حالة واحدة تتمنى فيها المرأة ان تعمل ، عندما يكبر الاولاد ، ويذهب كل واحد منهم الى حال سبيله ، وفي هذه الحالة تستشعر رغبة شديدة في العمل اذ لم يعد هناك ما يذكرها بانوثتها، انها تعود الى العمل باحساس الرجل لا باحساس المرأة !!! اهـ

ولا اجد ما اعقب عليه بعد هذه الحقيقة غير ان اضع قيد نظر المحررة واضرابها كلمة الكاتب الامريكي « ول ديورانت » .

« ان المرأة التي تحررت من عشرات الواجبات ، والاعمال المنزلية ، ونزلت فخورة الى ميدان العمل ، بجانب الرجل ، في الدكان والمكتب ، قد اكتسبت عاداته ، وافكاره وتصرفاته ، ودخنت سجائره ولبست بنطلوناته ...!! اهـ

وفي الاهرام تحت عنوان « نظرة الى الحياة » في ٣٠/٤/١٩٥٥ .

« كل مظهر من مظاهر الحياة يجافي المساواة ، فالمساواة لا تقوم الا نظراً ، هي عنصر من عناصر الكمال ، وهل للكمال اثر في احداث الحياة ؟!

المرأة تطلب مساواتها بالرجل في الحقوق، ويهيب بها « جولميتر » الا تتشبه بالرجل ، اذا ارادت ان تكون مساوية له بل ان تمعن في الانوثة .. وقال :

« على المرأة ان تتزوج حديثة السن – اذا استطاعت – وان تكره الحياة الخالية من الجد ، وان تكون لها اولاد ، وألا تشفق من ارضاعهم ، لان اداء الواجبات الطبيعية عن طواعية يتحول الى سعادة ، وان تحب اولادها مرضاة لهم ، لا مرضاة لها ، والا تصرفهم عن العمل ، وان تجعل منهم رجالاً ، حينئذ تزداد المرأة سلطاناً ، فتحتل في المجتمع مرتبة اعلى من المرتبة التي قد ترتقي اليها بحكم من احكام القانون ، وحينئذ لا تكون المرأة مساوية للرجل بل تكون ارفع منه !!

ذلك ما يطلب الرجل للمرأة ، فلا عجب ان يكون احب الرجال اليها اشدهم مقاومة لمطالبتها بحقوقها اهـ

فهل « جول لميتر » رجعي لانه يجاهر المرأة بما يصون كرامتها ؟!

لقد افلح بعض كتاب الغرب في ايغار صدور النساء على الرجال، واقناعهن بان لهن « قضية » و « حقوقاً » غلبهن عليها الرجال وجرى في غبار هذه الاراجيف بعض ارباب الاقلام ، وتعود محررة « مع المرأة » في الاهرام (١٩/١٠/١٩٦٠) فتقول تحت عنوان « الرجال في امريكا مهددون بالبطالة بسبب المرأة » .

« بدأ الرجال في امريكا يخشون اكتساح المرأة لجميع ميادين العمل بشكل يهددهم بالبطالة ، فقد دلت الاحصاءات الاخيرة على ان هناك ٢٤ مليون امرأة عاملة نظامية ، علاوة على السيدات اللاتي يعملن بصفة غير منتظمة ، او غير رسمية ، وبذلك تصبح نسبتهن ثلث عدد العاملين ، ولوحظ ان نسبة العاملات ترتفع بشكل مخيف جداً في كل عام ، حتى تنبأ الاخصائيون باكتساح المرأة في خلال سنوات قليلة جداً .

وقد بدأت المرأة العاملة في امريكا تهدد نقابات العمال ، تهديدات صريحة ، اذا لم تلب لها جميع رغباتها، وفعلاً بدأت نقابات العمال تعطيها امتيازات جديدة

لتوفر لها الراحة الكاملة في العمل ، وتمكنها — في الوقت نفسه — من القيـــام بواجباتها الاخرى في البيت كزوجة وأم .. »

ومرة اخرى يسعفنا الاستاذ سيد قطب بسبب وجيه لعمل المرأة في الخارج فيقول :

« إن نكول الرجل عن إعالة المرأة ، واضطرارها الى ان تعمل مثله ، وفي دائرته لتعيش ، فالشيوعية — بهذا — هي التكملة الحقيقية لروح الغرب المادية ، الفاقدة للاريحية ، وللمعاني الروحية في حياة البشرية »

« يجب ان نذكر هذا كله قبل ان يخدع ابصارنا الوهج الزائف ، فالاسلام قد منح المرأة من الحقوق ، منذ اربعة عشر قرناً ، ما لم تمنحهـا اياه فرنسا الى اليوم ، وهو قد منحها حق العمل ، وحق الكسب الذي منحته لها الشيوعية اليوم ، ولكنه ابقى لها حق الرعاية في الاسرة ، لان الحيـــاة عنده اكبر من المال والجسد ، واهدافها اعلى من مجرد الطعام والشراب ، ولانه ينظر الى الحياة من جوانبها المتعددة، ويرى لافرادها وظائف مختلفة، ولكنها متكافلة متناسقة، وبهذه النظرية يرى وظيفة الرجل ووظيفة المرأة ، فيوجب على كل منها ان يؤدي وظيفته اولاً لتنمية الحياة ودفعها الى الامام، ويفرض لكل منهما الحقوق الضامنة لتحقيق هذا الهدف الانساني العام » . [1]

ثم يجيب الاستاذ الكبير محمد جميـــل بيهم على سؤال هو هل من الصالح خروج المرأة الشرقية الى ميدان الاعمال الخارجية ؟ فيقول : « اجمع المصلحون المجددون في الشرق امثال غاندي [2] وفيصل الاول ، ومحمد علي جنة ، وسعد

---

(١) العدالة الاجتماعية ص ٥٨ .

(٢) رد الزعيم غاندي على سؤال وجهته له جريدة باريسية بحديث جاء فيه : نعم يجب الا تنزل المرأة عن عرشها لكيلا ينهدم نظام الاسرة ، وكيف تجد السعادة مأوى في بيت تشتغل صاحبته على الآلة الكاتبة كل النهار وتتناول غذاءها في المطاعم وتذهب الى البيت لتنام فقط ؟! ومن ذا الذي يعنى بالاطفال ؟ ثم ما قيمة البيت بغير الاطفال الذين هم زينة الحياة الدنيا واللؤلؤة الساطعة في احقر الاكواخ ؟!

زغلول ، وعبدالرحمن شهبندر وهم غير طبقة رجال الاصلاح المحافظين ، على انه ليس من صالح الشرق ان يفتح المجال لنسائه لكي يخرجن من خدورهن الى ميادين الكسب » .

« وهو الصواب عينه ، لان المرأة التي تنصرف الى الاعمال الخارجية يخسر بيتها وزوجها واولادها من الراحة المنزلية بقدر ما تربح من المال خارج المنزل ، وذلك لان الزواج يخلق للمرأة واجبات لا تستطيع الخادمات – مهما كن حاذقات – سد فراغها ، هذا اذا بقي في المستقبل خادمات ، وان العالم الغربي في اوروبا وامريكا لا يكابر في هذا الموضوع ، بل انه لا يزال يجنح عملياً الى فكرة لزوم المرأة دارها ، حتى ان نسبة النساء اللواتي يقتصرن على الشئون المنزلية في الولايات المتحدة – وهي اكثر البلاد تطرفاً في حرية المرأة – لا تزال تبلغ رقماً عالياً !

والى هذا فان الاعمال الاجتماعية والانسانية لا تقبل عليها هناك الصبايا اللواتي تلقى على عواتقهن الواجبات ، فقد تساءلت مساء يوم في واشنطن عن اسباب اقبال جمهور كبير من السيدات الراقيات على بهو « ماي فلور اوتيل » حيث كنت انزل ، وليس بينهن صبية واحدة ، وربما ولا كهلة ايضاً ؟! فقيل لي : انهن على موعد لمؤتمر ؛ وقيل لي – وقد افتقدت الصبايا – ان هذه الاعمال في امريكا انما يتفرغ لها المتقدمات في العمر ، وذلك لانهن يمسين اقل ارتباطاً من سواهن بالشئون العائلية والواجبات المنزلية .. وجدير بالذكر ، الاشارة هنا الى انه حتى النساء اللواتي قضى عليهن الزمان بمغادرة المنزل وراء الكسب ، غلب عليهن الاسى والندامة لهذا المصير ،واكبر دليل على ذلك الاستفتاء الذي قام معهد غالوب في امريكا من مدة قريبة – وهومعهد مهمته الاستفتاءات العامة لتحديد اتجاهات الرأي العام – قام باستفتاء عام في جميع الاوساط في الولايات المتحدة ، بصدد تعيين رأي النساء الكاسبات في صدد العمل ،واذا هو ينشر الخلاصة الآتية :

« ان المرأة متعبه الآن ، ويفضل ٦٥٪ من نساء امريكا العود الى منازلهن ،

كانت المرأة تتوهم انها بلغت امنية العمل ، اما اليوم ، وقد ادمت عـثرات الطريق قدمها ، واستنزفت الجهود قواها – فانها تود الرجوع الى عشها والتفرغ لاحتضان فراخها ، !!

ولا ينبئك مثل خبير ، على ان هذا التراجع ظهر ايضاً في الاوساط الامريكية السياسية ، اذ تناقص على التوالي عدد عضوات الكونجرس الى ما يشبه العدم !!

« كان عدد الممثلات الامريكيات في مجلس النواب والشيوخ سنة ١٩٢٦ يبلغ ١٠٨ امرأة ، ثم تصاعد هذا العدد في الانتخابات اللاحقة الى ٣١ امرأة ، ولكن الزهد الذي استحوذ من بعد على نساء الولايات المتحدة في هذه الناحية ، جعل هذا العدد يتراجع حتى لم يبق في الكونجرس الامريكي الآن الا تسع نائبات فقط على ما قرأت !!

« وخلاصة القول ان خروج النساء لمزاحمة الرجال في اعمال الكسب له اضرار لا مكابرة فيها ، وان اعداد بناتنا اعداداً يذلل لهن الاعمال ـ فيما اذا ما اضطرهن المستقبل ـ امر له فوائد لا جدال فيها ، فلنستعد اذن كما تستعد الدول للحرب في زمن السلم ، خصوصاً وان الحياة كلها كفاح ، وكل كفاح له سلاح ، ومن البلاهة ان نستبقى للنضال في عصر الذرة السيوف والرماح » .[١]

وتقول محررة باب « مع المرأة » في الاهرام (٢١/١٢/١٩٦٠) تحت عنوان « الاحصائيات اثبتت ان المرأة تفضل النجاح في زواجها عن النجاح في عملها » .

« في المانيا اجريت احصائيات ضخمة بين السيدات اللاتي يمتلكن المراكز الكبيرة في الشركات والمصالح ، وسئلت كل واحدة ، هل تفضل نجاحها في العمل ام نجاحها في الحياة الزوجية ؟!

ومن الغريب جداً ان جميع الاجابات كانت واحدة بدون استثناء ! فقد

---

(١) كتاب فتاة الشرق في حضارة الغرب للاستاذ محمد جميل بيهم صفحة ٦٦–٦٧ .

اجابت كل سيدة متزوجة ، بانها تفضل النجاح في حياتها الزوجية على النجاح في عملها ، وانها مستعدة للتضحية بعملها ومركزها الكبير ، ولا يمكن ان تضحي ببيتها وزوجها واولادها !!

واجابت مجموعة كبيرة من السيدات غـــير المتزوجات ، بأنهن كن يفضلن الزواج ، مع البقاء في مراكز صغيرة جداً ، وتقاضي مرتبات ضئيلة جداً بـدلاً من الوصول الى هذه المراكز المرموقة بدون زواج ، فقد تبين لهن ان النجاح في العمل لم يعطهن الاستقرار والسعادة الحقيقية التي تتمناها كل واحدة لنفسها !!

وأتساءل – أخيراً – هل ظلم الاسلام المرأة ، وهو يفتح لهـا ابواب العمل عند اضطرارها اليه ، او حاجة الحياة نفسها اليها ؟!

٧ – غيوم في سماء الاسرة أ –

تظهر بعض السحب في سماء الاسرة ، وتهب عليهـا رياح خلاف ، ويشيع بين الزوجين فتور ، يبلغ بالمرأة درجة النفور ، او يصل بالزوج الى درجـــة النشوز والاعراض ، وقد يستحكم الشقاق بينهما على السواء ، والاسلام يقدم لهذه الحالات جميعاً حلولاً لا يغنى غناءها – في تبديد هذه السحب ، واعادة السكينة الى عش الزوجية – سواها.

أ – فهو في الحالة الاولى ، ينادي الرجـــال « واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً ان الله كان علياً كبيراً » [١] .

وعظ يذكر المرأة بالميثاق الغليظ الذي بينهـا وبين زوجها ، وبذلك العهد الجميل الذي كانت فيه لباساً له كما كان لباساً لها ، وبمـا ينتظر الاولاد – ان كانوا – من تشرد وضياع ! ثم هجر في المضاجع يبدي زهد الرجل فيما تدل بـه الانثى وتحسبه سلاحاً تدرك به من الرجل ما تريد .. ثم ضرب لم يكن غرضاً

---

(١) النساء – ٣٤ .

من اغراض الاسلام ولكنه كالدواء الكريه الذي يضطر اليه المريض ، وارجع البصر كرتين في قول الله بعد ذلك « فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً..الآية » وفي السنة المطهرة تدرك حكمة الاسلام مجلوة سافرة ..

يقول الامام الشوكاني « فاذا اكتفى بالتهديد ونحوه كان افضل ، ومهما امكن الوصول . الى الغرض بالايهام ، لا يعدل الى الفعل ، لما في ذلك من النفرة المضادة لحسن العشرة المطلوبة في الزوجية ، الا اذا كان في أمر يتعلق بمعصية الله ، وقد أخرج النسائي عن عائشة رضى الله عنها قالت : « ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة له ، ولا خادماً قط ، ولا ضرب بيده شيئاً قط الا في سبيل الله او تنتهك محارم الله فينتقم لله » وفي الصحيحين « لا يجلد احدكم امرأته جلد العبد ثم يجامعها آخر اليوم » [1] .

وحدّث ابن سعد ان الرسول نهى عن ضرب النساء فقيل له: انهن قدفسدن. فقال اضربوهن ولا يضرب الا شراركم « الطبقات الكبرى ج ٧ ص ١٤٨» ولقد صار عدم ضرب النساء ادباً مرعياً في الانصار وغيرهم حتى ليقول شريح قاضي المسلمين في عهد عمر ومن بعده :

رأيت رجالاً يضربون نساءهم   فشلت يميني حين اضرب زينبا!!

واسألوا اللواتي تحدثن من المثقفات الى بعض الصحفيين ماذا قالوا في أثر الضرب وجدواه في بعض الاحايين !!

ب – وهو في الحالة الثانية ، يخاطب النساء« وان امرأة خافت من بعلها نشوزاً او اعراضاً فلا جناح عليها ان يصلحا بينهما صلحاً والصلح خير .. »[2] فيستثير الله في المرأة حيلها ووسائلها التي قلما تخفق في استلانة الرجل ، ورده رضي النفس الى فردوس الاسرة ..

---

(١) نيل الاوطار ج ٦ صفحة ٢١١ .
(٢) النساء ١٢٨ .

ج – فاذا لم يجمع ذلك كله الشمل ، فقد اوجب الله على الاهل ان يتدخلوا بعد ان عجز الزوجان عن « ان يصلحا بينهما صلحاً » فقـال تعالى « وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من اهله وحكماً من اهلها ان يريدا اصلاحاً يوفق الله بينهما ان الله كان عليماً خبيراً »[1] وفي تحديـد صلة الحكمين بالزوجين ، فرض لحصر الخلاف واسبابه في نطاق السرية ، حتى لا يسمع شيئاً منها حمالو الحطب المولعون باذكاء نار الفرقة بين الناس ، ولا بد ان يكون الحكمان من اهل الصلاح لا من مجرد اهلها ، ولقد روى ان عمر رضي الله عنه ارسل اثنين ليصلحـا بين متخاصمين ، فلما اخفقا علاهما بدرته وقـال « ان يريدا اصلاحاً يوفق الله بينهما » !!

يقول الاستاذ الشيخ محمد ابو زهرة « واذا كان للرجل حق التأديب بالوعظ والهجر وغيرهما فان للمرأة الحق ايضاً ، فيما قرره الامام مالك رضي الله عنـه اذ يقول ذلك الامام الجليل ، ان المرأة اذا اشتكت من زوجهـا انه يسيء اليها في عشرتها ، لها ان ترفع الامر الى القاضي فيعظه ويلومه ، فان لم يجد ذلك امر لها بالنفقـة ، ولم يأمرها بالطاعة ، أمداً معقولاً يراه ، وبهذا اجاز لها ان تهجره اذا نشز ، كما جاز له ان يهجرها اذا نشزت ، فان لم يجد ذلك كان التفريق لا محالة – ان طلبته – « وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته » . [2]

٨ – أبغض الحلال : –

يحرص الاسلام على ان يحل الوفاق في الاسرة محل الشقاق ، وان لا ينتهي الامر بالزوجين الى الطلاق ، فانه « أبغض الحلال الى الله ... » [3] ، وان كان لا يسد مسده في حينه سواه !!

---

(١) النساء ٣٥ .
(٢) من بحث لفضيلته في كتاب « الاسلام اليوم وغداً » صفحة ٢٣١ .
(٣) الحديث « أبغض الحلال الى الله الطلاق » الشوكاني ج ٦ صفحة ٢٢٠ .

والطلاق في الاسلام دواء لا داء ، وفرصة يمكن بعدها استئناف الزوجية بود وابقاء ، حين يراجع كلا الزوجين نفسه ، ويرهف للعواقب حسه ، ويبدي لشريكه اسفه ، وقد وضع الاسلام للطلاق شروطاً لا يقع معها على الناس الا في النزر اليسير ؛ وآيات سورة البقرة - التي نستعرضها بعد قليل - وسورة الطلاق والاحاديث النبوية وكتب الفقه ، تجلو حكمة هذا الدين ، وتجعل الطلاق من مفاخره .. كما قرر ذلك المنصفون من غير المسلمين !!

أ - فالرجل يراجع زوجته متى شاء في العدة ، وان جاء الطلاق بلفظ الثلاث .

ب - ويردها اليه من الطلاق الثاني - ما دامت في عدتها - بعقد ومهر جديدين . قال تعالى « الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان ولا يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً الا ان يخافا الا يقيما حدود الله فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون . فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره فان طلقها فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون » .(١)

جـ - اي اذا اوقع عليها الطلاق الثالث ، فقد بانت منه بينونة كبرى « لا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره » نكاحاً مبتوت الصلة عن نكاحها الاول ، لا يراعى فيه اي ارتباط !

قال الامام الشوكاني في جـ ٦ ص ١٤٠ من نيل الاوطار « والنبي صلى الله عليه وسلم انما شرط في عودها الى الاول مجرد ذوق العسيلة التي حلت بالنص « حتى يذوق عسيلتها وتذوق عسيلته » (٢) وعسيلتها هي ماؤهما !!

---

(١) البقرة : ٢٢٩ - ٢٣٠ .
(٢) بلوغ المرام لابن حجر صفحة ٢٠٠ .

٩ ـ اخطاء

واخطاء الناس في هذا النكاح لا تتناهى ، فمنهم من يصطنع فيه زواجاً شكلياً لا يتجاوز مجرد العقد دون ان يلتقي من عقدوا بينهما ، ثم يكره الرجل بعد ذلك على الطلاق ، ومنهم من يخطو خطوة وراء ذلك فيأذن للرجل بالخلوة بالمرأة شريطة ألا يقربها ، وقد يجمعون بينهما في ملأ من قوم المرأة ، وما اكثر ما تخيب هذه الضمانات كلها ، وتأتي النتيجة بما لا يُحِب الاهل حين تذوق المرأة عسيلة هذا الذي اصطنعوه ، ويطيب لها ان تستمر حياتها معه وان رغم الاهل !

ويكفي هذا الزواج الذي لم يأت على اساس الاسلام ان الناس يستبشعونه ، ويسمونه في بعض البلاد « التجحيش » ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول فيه « ألا اخبركم بالتيس المستعار ؟ قالوا : بلى يا رسول الله. قال هو المحلل . لعن الله المحلل والمحلل له » [١] ويقول ابو حفص رضوان الله عليه « لا اوتي بمحلل او محلل له الا رجمتهما » . [٢]

وبذلك اخذت المذاهب الاسلامية التي اعتبرت مثل هذا النكاح زنا، توجب فيه الحد من الرجم والجلد » .

والقول الفصل في هذا النكاح ان يمضي على طبيعته ، يدوم او يتفرقا منه بطلاق ، او بموت الزوج الاخير ، فاذا اعتدت المرأة منه ، امكن ان تعود الى الاول بزواج جديد « فان طلقها فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله ... »

١٠ ـ الرسول يعظم النكير في الطلاق ..

فيقول صلوات الله عليه « تزوجوا ولا تطلقوا فان الطلاق يهتز منه عرش

---

(١) نيل الاوطار جـ ٦ صفحة ١٣٨ ـ ١٣٩ .

(٢) اغاثة اللهفان لابن القيم جـ ١ صفحة ٢٧١ طبعة انصار السنة .

الرحمن »[1] ويقول « وما زال جبريل يوصيني بالمرأة حتى ظننت انه لا ينبغي طلاقها الا من فاحشة مبينة »[2] ويقول« لعن الله كل ذوّاق مطلاق »[3] ويقول « أيما امرأة سألت زوجها الطلاق في غير ما باس فحرام عليها رائحة الجنة »[4]

وفي هذه النصوص ما يحرك الضمائر للابقاء على الزوجية ، والامساك فيها بمعروف جهد الطاقة،وفيها مايخرس السنة ترجف بالاسلام في تشريع الطلاق!! وقد حمل الي احد اولادي – وانا اكتب الآن – خطاباً من سيدة قالت انها « طالبة علم تسمع خطبة الجمعة اسبوعياً » ، وألخص كلامي فيما يلي :

حضرة ... فلان « وذكرت اسمي » .

سلام عليكم ... اكتب اليكم راجية ان يلهمكم الله تحقيق رجائي عن « المرأة المطلقة » في خطبة الجمعة ان الشاب المسلم يرفض الزواج من المرأة المطلقة من اجل حرصها على شرفها وكرامتها ، انه ينظر اليها نظرة ناقصة وكأنه يقول : « لا اريد ان اشرب من وعاء سبقني على الشرب منه احد »!.. لا يقدر اخلاقها ومحيطها ، بل يقدم عليها الفتاة اللعوب التي تلفت نظر الرجال في المجتمعات المختلطة المنحطة ..

ان المجتمع اليوم لا ينصف المرأة المطلقة ، التي اختارت طريق الشرف فطلقها الرجل ، واراد المجتمع ان تنحرف بعد ذلك عن الطريق المستقيم ، وألفت نظركم الى ان الطلاق قد يصدر في حالة تهور او حكم سريع ، لا يقدر ما وراء المرأة من مسئولية اولاد ومشاكل نفسية ..

وتحدثت عن « تعدد الزوجات» وقالت انه مصيبة علىالاولاد لا على آبائهم. وتساءلت : في اي كتاب سماوي تحرم الأم من رؤية اولادها ، ويحرمون

---

(١) كشف الغمة جـ ٢ صفحة ٩٥ ·

(٢) المصدر المذكور صفحة ٩٦ بلفظ لا تطلقوا النساء الا من ريبة .

(٣) المصدر السابق بلفظ « ... ان الله لا يحب الذواقين ولا الذواقات » ·

(٤) الشوكاني جـ ٦ صيحة ٢٢٠ .

من رؤية امهم ؟! لماذا لا تضع المحاكم حداً لهذه الوسيلة البشعة التي يقهر بهـــا بعض الرجال زوجاتهم ، ويقهرون ابناءهم بحرمانهم من عاطفة الامومة ..

املي ان لا تخيب رجائي .. امضاء ...

وسأحقق رجاء « طالبة العلم » في خطبة الجمعة ان شاء الله ، وارد الابصار والبصائر – مرة اخرى – الى اقوال رسول الله في الطـــلاق ، واعجب كيف ينصرف طلاب الزواج عن « المرأة المطلقة » غير ناظرين الى سمعتها وشرفهـا واستقامتها وانها قد تكون مظلومة في طلاقها ، فما اكثر مـــا يريد الازواج من زوجاتهم غير ما يريده الله ، فاذا آثرن رضى الله كانت الفرقة وكان الطلاق، ولقد قلت مرة في احد دروس النساء .. ان الاسلام حينما اراد للمسلمة اللباس الكريم والثياب الساترة ، انما استهدف كرامتهـــا فقالت لي سيدة من اسرة معروفة « وماذا نفعل ؟! اننا نود ان نلبس ونخرج حين نخرج كما يريـد الاسلام ولكن ازواجنا يكرهوننا على غير ذلك ؟!

وليست كل « مطلقة » سيئة الخلق ، ولا حفية بانصراف الرجـال عنها ، فلقد تزوج الرسول من نساء كن زوجات وتزوج من زينب مطلقة زيد بن حارثة ، وهن جميعاً امهات المؤمنين ، وتزوج الصحابة من مطلقات ، وفي المجتمع زوجات كريمات لكرام ، وكن قبل ذلك زوجات لغيرهم .. ولماذا شرع الله العـــدة – عدة المطلقة والمتوفي عنها زوجها – لاستبراء رحمها من زوجها ، ان لم يكن ذلك للاعداد لزواج جديد ؟!

وارجو ان لا يكون عذر المطلق انه لم يجد شريكة تخلصه ودها ، وتوفر له هناءته جهدها ، وان لا تكون « المطلقة » من العاملات اللواتي يعدن الى منازلهن بقلوب متعبة وجوارح لاغبة ، واعصاب ثائرة لا يؤدين معها لرجـل او ولد عملا !! ولقد اسلفت لك ان المرأة التي تخالف عن امر زوجها في العمل ومبارحة المنزل لا تستوجب نفقة ، ولا تثريب على زوجها ان فارقها بعد ان نصح فلم يفلح وامر فلم يطع ، والمرأة تبوء عند ذلك – وحدها – بوزر الاولاد

وما يلاقون من ضياع .

وسنتناول « تعدد الزوجات » في موضعه من هذا الكتاب ، فلنعد ـ الى حين ـ للحديث مع جاهلي حكمة تشريع الطلاق في الاسلام ..

يقول الشيخ محمود شلتوت « وسيجد المصلحون فيه – أي في نظام الطلاق في الاسلام – متى حسن النظر والاختيار ، الوقاية الكافية من ظاهرة كثرة الطلاق ، التي يزعم البعض – بحسب ما يذكرون من ارقام – انها كثيرة تهدد حياة الاسر ، وليس للأسر ما يهددها في ظل الفقه الاسلامي الواسع ، الا التزمت والجمود على مذاهب معينه ، تتخذ ديناً يلتزم ، وقانوناً يتحاكم اليه الناس فيما بينهم ، واذا تم ذلك فسوف لا نجد للطلاق كثرة يتخذها بعض المتحدثين في شئون الأسرة اساساً لمحاولة تغيير شرع الله في انتزاع حق الطلاق من الزوج الذي بيده عقدة النكاح ، وتسليط القاضي عليه ، بالتحقيق والدفاع والاستشهاد ، وما الى ذلك من شئون التقاضي التي تأباها الحياة الزوجية القائمة على اساس المودة والرحمة والمحبة والتي من شأنها ان تكثر المكايد وخلق التهم في جوها مما يربو ضرره في الأسر على ضرر الطلاق وكثرته !!

« ان اصلاح الاسر لا بد فيه من مراعاة الوصايا الدينية فيما يتعلق بتكوينها وسلامتها ، بعد تكونها من الشقاق بين الزوجين ، وبتخير مذاهب اليسر في وقوع الطلاق بالنظر الى الفاظه ، وبالنظر الى الحالة التي يكون عليها الزوجان وتحديد الدائرة الضعيفة التي يقع فيها الطلاق البغيض عند الله ، والذي جعله الله ضرورة اختيار او انقاذ من حالة طارئة يرجع بها الزوجان الى حالة السكن والمودة ، وطيب العيش وهناءته »[1] .

ويقول الاستاذ الكبير السيد عبد الحميد الخطيب :

« تقول الانباء الواردة من اوروبا ان اكثر حوادث القتل والانتحار بين

---

(١) الاسلام عقيدة وشريعة صفحة ١٦٧ .

«الازواج هناك ترجع الى تحريم الطلاق ، فلا يجد الزوج امامه وسيلة للانفصال ، الا الانتحار ، ولذلك لم ير الباحثون الاجتماعيون هناك وسيلة لحل هذه المشكلة الا باباحة الطلاق ، ولقد اباحته فعلاً بعض الدول الغربية كامريكا ... »[1]

« وهذه روسيا ابتدأت تعمل في الزواج والطلاق بكل حرية حسب قواعد بعض التشريع الاسلامي »[2] .

ويقول الكاتب الفرنسي المسلم اتيين دينيه في كتابه « محمد رسول الله » :

« على ان الكنيسة قد اساءت كذلك في مسألة الطلاق ، كما اساءت في امر التوحيد في الزوجة وذلك بمخالفتها ايضاً لقوانين الطبيعة » .

وهل اشد من الحكم على زوجين شابين لم يستطيعا لبعضهما صبراً ، وقد خاب ظنهما في الزواج ، ولم يدركا السعادة التي طلباها من وراء ذلك ، هل أشد من الحكم عليهما بأن يخلدا ليقضيا بقية ايامهما في عذاب ونكد وشقاء ؟! كذلك اذا كان احدهما عاقراً او كان غير كفء لزميله ، هل يحرم الآخر من ان يبني لنفسه بآخر ، وان يقيم له عائلة من جديد » ؟![3] .

فماذا ينقمون من الاسلام في الطلاق الذي جعله الله آخر الدواء ، حين تفقد الأسرة انسجام ركنيها ، وتفاهم طرفيها ، ويكون لكل منهما – بعد انعدام السلام العائلي – شأن يغنيه ، وهوى يضله ولا يهديه ؟! « ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور »[4] .

---

(١) تفسير الخطيب الملكي ج ٤ صفحة ٧٧ .

(٢) المقارنات التشريعية بين القوانين الوضعية المدنية والتشريع الاسلامي للاستاذ حسين عبد الله علي حسين ج ١ صفحة ١٨٣ .

(٣) كتاب « محمد رسول الله » ذيل صفحة ٢٣٨ ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود والاستاذ محمد عبد الحليم محمود .

(٤) سورة النور – ٤٠ .

من حوافظ الأسرة

١ ـ أدب الله للصحابة أدب لنا !

دعا الاسلام الى صيانة الأسرة ، ورد عوادي التداعي عنها ، فأوجب الغيرة عليها ، والحيلولة دون اختلاط الرجال والنساء فيها ، حتى نأخذ في ذلك بالأدب الذي رضيه الله للمؤمنين ، حين كانت تدعوهم الضرورة الى مخاطبة نساء النبي صلى الله عليه وسلم في قوله « واذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن ... [١] »

وكلما تعددت نذر الاختلاط ، وتفاقم شره ، وشاعت فوضاه ، زادنا ذلك ايماناً بقول المعصوم صلوات الله عليه « ما خلا رجل بامرأة والا وكان الشيطان ثالثهما » [٢] .

ومن عجب ان يطلق شيطان الاختلاط افراخه على طريق الدعاة الى التصون والاحتشام ، ليشككوا في هذا الحديث وامثاله ، ويبشروا بفوائد الاختلاط ، الذي يكبح – في زعمهم – جماح الشهوات ، ويكسر ثوران

---

(١) الاحزاب – ٥٣ .
(٢) المنذري جـ ٣ صفحة ٣٨ .

الغرائز الدنيا ، ويمحو فوارق الجنسين ، حتى يصيرا شيئاً واحداً ، في دور العلم ، ومجالس اللهو ، ومجامع الناس ، والواقع – في شرق الدنيا وغربها – يكذب هذه الفلسفة ويملأ انوف اشياعها بالرغام !!

ونحن لا نسرف في الريبة حين نطالب للاعراض والحرمات في الاسرة ببعض ما نرصد لأموالنا وأعمالنا من يقظة واعتبار وصيانة ، فكل شيء في الدنيا يروح ويغدو ، ونجد منه البديل والخلف ، الا الشرف ، فانه اذا ثلم ثلمة ، اتصل عاره ، وتوارثه الأبناء والاحفاد عن السلف !!

٢ – غيرة العرب :

ولقد كان العرب – وما يزالون – أحفظ الناس للأنساب ، واحرصهم على الأهل والحرم ، وكانوا مضرب الامثال في غيرتهم عليها ومن اقوالهم التي ترددها الأجيال « كل امة وضعت الغيرة في رجالها وضعت الصيانة في نسائها » .

وكانوا يغارون على الخيل ، ويتوعدون من تحدثه نفسه بالغارة عليها ، بحرب تتكلم فيها السيوف ، ويسهم الأهل والعشيرة فيها ، وقد طلب احد ملوكهم من عبيدة بن ربيعة التميمي فرساً تسمى « سكاب » فمنعها منه . وقال :

ابيت اللعن ، إن سكاب علق ... نفيس لا يعار ولا يباع
مفداة ، مكرّمة علينا ... يُجاع لها العيال ولا تجاع
فلا تطمع – أبيت اللعن – فيها ... ومنعكها بشيء يستطاع
وكفّي تستقل بحمل سيفي ... وبي ممن تهضمنى امتناع
وحولي من بني معروف شيب ... وشبان الى الهيجا سراع
اذا فزعوا ، فأمرهمُ جميع ... وإن لاقوا ، فأيديهم شعاع

ويصف المعري « الديك » بالغيرة والدفاع عن الدجاج فيقول :

وفيك – اذا ما ضيّع النكس – غيرة ... تصان بها الصحيا الكرائم ![1]

---

(١) النكس : الضعيف : يريد الرجل المبيع للحرم .

وحين قال سعد بن معاذ رضي الله عنه « لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح » أنكر منه الصحابة ذلك وشكوه الى الرسول فقال صلوات الله عليه « أتعجبون من غيرة سعد انا والله أغير منه ، والله أغير مني » [1] .

وكانت اسماء بنت ابي بكر زوجة للزبير بن العوام – رضي الله عنهم – تزوجها وهو فقير ، فعملت معه في الحقل ، وكانت تحمل النوى على رأسها ، لتعلف به بعيرها ، فرآها الرسول وهي على هذه الحال يوماً ، فأراد ان يركبها خلفه على بعيره فرغبت في ذلك ، ثم ذكرت غيرة زوجها ، فاعتذرت للرسول، وحدثت بذلك زوجها بعد ذلك ، فقال « والله لحملك النوى على رأسك ، أهون علي من ركوبك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم » ولم ينكر عليه الرسول مقالته ، لما يعلم من غيرته رضي الله عنه !! [2] .

ويقول علي كرم الله وجهه الرجل الكامل من أخذ من الديك ثلاثة اشياء : سخاءه ، وشجاعته، وغيرته .

ومن الغراب ثلاثة اشياء . بكوره في طلب حوائجه ، وشدة حذره، وستر سفاده ، [3] وما اعظم توافق غيرة الديك ، وستر الغراب سفاده !!

وروى صديق بيروتي امين : انه وجد احدى دجاجاته في حظيرة غير حظيرتها – يوماً – فحملها ليردها الى مكانها ولكنه شاهد عجباً!! رأى «الديك» في الحظيرة التي غادرتها ثائراً يأبى ان تعود ، ويبطش بها بعنف ، وحاول الصديق ان يثنيه فما افلح فغاب بالدجاجة فترة ثم عاد ، فوجد الديك مازال مصراً يأبى عليها ان تساكنه ، وعاد بها ثم رجع اليه مرة ثالثة ومعه دجاجات

---

(١) ارشاد الساري جـ ٨ ص ١٢٢ – ١٢٣ .
(٢) كشف الغمة للشعراني جـ ٢ صفحة ٨٣ .
(٣) السفاد : الجماع .

اخر ، فلم يثر الديك ولم يأب عليهن مساكنته ، وظن الصديق انه يستطيع ان يعود بالدجاجة الى حظيرتها بعد ان هدأت الثورة وسكنت العاصفة ، فلما عاد بها ، عادت ثورة الغيور الذكور على الدجاجة التي تركت حظيرته !!

وقال لي شاهد من الاصدقاء ان اطراف هذه الطريفة على قيد خطوات ممن يرتاب ويريد ان يطمئن بهذه الحقيقة قلبه !. فهل يعني ذلك اناس يُغْضُون على انحراف ذويهم ؟! ان الزبير يغار على اسماء من رسول الله !. والديك يغار على الدجاجة ، ومن البهائم العجماوات ما يغار على انثاه ، ويفنى دونها ، وفي صحيح البخاري قال عمر بن ميمون الأودي « رأيت في الجاهلية قرداً زنا بقردة فاجتمع القرود عليهما فرجموهما حتى ماتا !! »[1]

٣ ـ الاسلام يسد منابع الفتنة !

وما ابعد نظر الاسلام في ثورته على الاختلاط ، ودعوته الى الحذر ، وسد ذرائع الشر ، فالطبيعة البشرية كالطبيعة العامة سواء بسواء ، اذا هي ثارت حطمت حواجز الآداب ، وآذنت بفساد كبير ، ومن اجل ذلك عالج الاسلام منابع الفتنة ، وثغور السوء ، فأوجب على المرأة الاحتشام في ثوبها ـ اذا واجهت الناس ـ فلا يكون شفيفاً لاصقا ، ولا كاشفاً من طول ما قصرته ـ عما امر الله ان يستر منها . قال تعالى « يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً » الاحزاب ، وفي باب « نهي المرأة ان تلبس ما يحكي بدنها » قال الامام الشوكاني :

« عن اسامة بن زيد قال : كساني رسول الله صلى الله عليه وسلم قبطية كثيفة ـ نوع من فاخر الحرير ـ كانت مما اهدي له من دحية الكلبي ، فكسوتها إمرأتي . فقال رسول الله مرة : مالك لا تلبس القبطية ؟ فقلت يا رسول الله

---

(١) الف باء للبلوى جـ ٢ صفحة ٣٩٤ .

كسوتها امرأتي فقال : مرها ان تجعل تحتها غلالة – اي قميصاً – فاني اخاف ان يصف حجم عظامها » قال الشوكاني : والحديث يدل على انه يجب على المرأة ان تستر بدنها بثوب لا يصفه[1] وقد لعن الرسول المتشبهات بالرجال من النساء بلف عمامة او عصابة او غيرها !!![2]

وقد حرك الاسلام الضمائر وهو يحصي من لا حرج عليهن في مخالطتهم « ان تبدوا شيئاً او تخفوه فان الله كان بكل شيء عليماً،لا جناح عليهن في آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابنـــاء اخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت ايمانهن واتقين الله ان الله كان على كل شيء شهيداً » الاحزاب ٥٤ – ٥٥

واوجب على الرجل والمرأة غض البصر ، وقدمه على حفظ الفروج في آيتين متتاليتين « لأن النظر بريد الزنا » وقال تعالى « قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون ، وقـــل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ، ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن–اي يغطين صدورهن بغطاء رؤوسهن–ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بنياخوانهن او بني اخواتهناو نسائهن او ماملكتايمانهن او التابعين غير اولي الاربة من الرجال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعاً ايها المؤمنون لعلكم تفلحون »[3] .

قـــال علي كرم الله وجهه « أردف النبي صلى الله عليه وسلم ، الفضل بن العباس ثم اتى الجمرة فرماها ، فاستقبلته جارية شابـــة من خثعم فسألته عن مسألة فأفتاها ، ولوى عنق الفضل ، فقال له العباس ، لم تلوي عنق ابن عمك

(١) نيل الاوطار جـ ٢ صفحة ١١٦ .

(٢) نيل الاوطار جـ ٢ صفحة ١١٧ .

(١) النور ٣٠ – ٣١ .

يا رسول الله ؟ قال : « رأيت شاباً وشابة فلم آمن الشيطان عليها» [١] .

ويقول ابن عباس في قوله تعالى : « ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها » هو الخاتم والكحل والخضاب والطوق والقرطان [٢] .

وفي حديث مع الاستاذ الجليل محمد جميل بيهم قال : « كيف اباح القرآن في قوله تعالى : « اوما ملكت ايمانهن » نظر هؤلاء الى النساء ؟! وانتهى بحثنا عند جواز ان يكون هؤلاء من الاماء ، ووجدت الامام النفسي يقول :

« اوما ملكت ايمانهن » اي امائهن ، ولا يحل لعبدها ان ينظر الى هذه المواضع منها ، خصياً كان او عنيناً او فحلاً ، وقال سعيد بن المسيب « لا تغرنكم سورة النور فانها في الاماء دون الذكور » .

وعن عائشة انها اباحت النظر اليها لعبدها » [٣] .

وقد اورد الامام الشوكاني قول عائشة هذا وقال « والجمهور على ان المملوك كالاجنبي بدليل صحة تزوجها اياه بعد عتقه » وحمل الشيخ ابو حامد هذا الحديث على ان العبد كان صغيراً ، لاطلاق لفظ الغلام، ولأنه واقعة حال »[٤].

وقال الامام الشعراني « وكان السلف يكرهون ان ينظر العبد الى شعر سيدته ، وكأنهم عدوا الشعر من الزينة التي لا تبديها لعبدها » [٥] .

ورحم الله ابا جعفر عمر فهو يقول « علموا نساءكم سورة النور»[٦] وكم فيها لهن من خير !!

---

(١) كشف الغمة جـ ٢ صفحة ٥٧ .
(٢) المصدر السابق صفحة ٥٨ .
(٣) تفسير النسفي جـ ٣ صفحة ١٠٨ .
(٤) نيل الاوطار جـ ٦ صفحة ١١٥ .
(٥) كشف الغمة جـ ٢ صفحة ٥٧ .
(٦) الف با جـ ١ ص ٢٤١ .

وفرض الاسلام حرمة البيوت حين اوجب الاستئذان عليها قبل الدخول . قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون. فان لم تجدوا فيها احداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم » [1] وهي الحصانة التي جعلها الله لبيوت رسوله « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم ... » [2] وقد روى البخاري ومسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من اطلع في بيت قوم بغير اذنهم فقد حل لهم ان يفقئوا عينه » [3] .

* * *

واوجب استئذان ممالیكنا وصغارنا اذا ارادوا الدخول علينا في ثلاث اوقات فقال تعالى « يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم. واذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم .. » [4]

وسأل بعضهم النبي : هل يستأذن على امه ؟ قال : نعم . فقال الرجل : كيف وانا معها في البيت وانا خادمها ؟! فقال صلوات الله عليه : أتحب ان تراها عريانة » ؟! قال: لا. فأكد صلوات الله عليه وجوب الاستئذان عليها » [5].

***

---

(١) النور ٢٧ - ٢٨ .
(٢) الاحزاب - ٥٣ .
(٣) المنذري ج ٣ صفحة ٤٣٥ .
(٤) النور ٥٨ - ٥٩ .
(٥) كشف الغمة ج ٢ صفحة ٥٨ .

ولم يغفل الاسلام حديث المرأة ، ولكنه وضح للمؤمنات صورته وحدوده ، وهو يؤدب امهـات المؤمنين بقوله : « فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً » قولاً معروفاً لا يفتح باب الأمل للذئـــاب المتربصة – بكل مكان – بالحملان، او بحبائل الشيطان !!

٤ – الاسلام يحترم الضرورات !

والاسلام مع ذلك العلاج الفذ يحترم الضرورات ، فهو يـــدعو المرأة الى الاستقرار – جهدها – في مملكتها الخاصة ، والعمل على اسعاد رعيتها مـــا امكنها ذلك ، وهي كما قال الرسول « اقرب مـــا تكون المرأة من رحمة ربها وهي في قعر بيتها » [١] .

فان لم يكن مبارحة بيتها بد ، فليكن ذلك في نور من قوله تعـالى : « ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى .. » [٢] وقول الرسول : « أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية » [٣] .

وقد استأنس الفقهاء في ذلك بما تعطيه الآية والحديث ومواقف نجملهـــا فيما يلي :

١ – نسوة قلن للرسول : نريد ان نخرج الى الحروب مع ازواجنـا لنحمل مرضاهم ونسقي ظمآهم .. فأجابهن .

٢ – نسوة قلن يا رسول الله : ان بعولتنا يمنعننا المساجد ، فنادى صلى الله عليه وسلم في الناس « لا تمنعوا إماء الله مساجد الله » .

٣ – نسوة قلن يا رسول الله : نريد أن نشهد الأعياد مع الرجال . فنادى :

---

(١) المنذري جـ ١ صفحة ٢٢٧ .
(٢) الاحزاب – ٣٣ .
(٣) المنذري جـ ٣ صفحة ٨٤ – ٨٥ .

« دعوا العواتق وذوات الخدور يشهدن العيد » .

هذا الرفق النبوي كان بن يعرفن ما أراد لهن الاسلام من تصون وكال !!

ولقد كان صلوات الله عليه يدعو المؤمنات الى قراءة سورة النور ، ففيها وفي سورة الاحزاب من شرائع الخير للنساء ما يريح ، مما يكظم الأنفاس ، ويؤذي الحواس ، وتضيق به الصدور اليوم ، من عرى وتهتك واستهتار ، لست ادري ماذا كان يقول الامام علي لو رآه قبل ان يقول « بلغني ان نساءكم يخرجن الى الاسواق ألا قبح الله رجلاً مؤمناً لا يكون غيوراً » .

وماذا كان يقول ابن مسعود قبل ان يقول : « أقبح اللؤم بالرجل الا يكون غيوراً ، أما يستحي احدكم ان تخرج امرأته لتزاحم الناس في الاسواق والجامع » ؟!

لقد خرجت المرأة الى الاسواق ، وشهدت حلبات الرقص والسباق ، والتفت فيها الساق بالساق ، ورنحها السكر وزكمت الأنوف منها روائح العطر والخمر ، وخان النظر ، وقدح الشر والشرر ، ورحم الله ابن القيم اذ يقول « ان النظرة تستتبع الخطرة والخطرة تستتبع الفكرة ، والفكرة تستتبع الخطيئة » !

* * *

واين نساؤنا من احتشام غيرهن ؟! ان الدول التي كفرت بالأديان تؤمن بكثير من الأخلاق !!

يقول الاستاذ محمد جميل بيهم : « نجد المسلمة في احدى الجمهوريات الواقعة شرقي بحر قزوين لا تزال محافظة على كثير من التقاليد الشرقية ، ما عدا خريجات المدارس والمعاهد ، ويضرب مثلاً بما شاهده في مدن اوزبكستان .. ثم يقول : « ومن علائم هذه المحافظة على الأزياء والتقاليد في بعض الاوساط ، انك لا ترى على

الاكثر ، رسوم النائبات المسلمات اللواتي يمثلن جمهوريات الاتحاد السوفييتي في مجلس القوميات العالي بموسكو ، الا وترى رداء الرأس يتدلى من رءوسهن حتى اكتافهن !!

ثم ضرب مثل المرأة الروسية التي لا تعنى بالأناقة والتبرج والأصباغ وجر الذيول – كما قال العربي القديم – وكما يحدث في الغرب » أ هـ [1] .

ولعله يعظ بذلك من لا عمل لهن من اشباه الطواويس ، الا ان يفسرن قوله تعالى : « ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن » !!

* * *

٥ – في غيبة الدين !!

تنحط المجتمعات الى درك الاثم ، وتسقط في حمأة الانسانية حين يغيب الدين على الصورة التي سمعها عالم لبناني فاضل قال : كنت اركب سيارة عامة ، والى جواري عدد من « أشباه الرجال ولا رجال ، وسمعت احدهم يقول للآخر : سهرت الليلة مع فلان وفلان ، وأكلنا وشربنا وتبادلنا نساءنا وذكر فاحشة الزنا والعياذ بالله !!

وقال لي تلاميذي في احدى مدارس بيروت : انهم يعرفون شباناً يتبادلون الأخوات في سهرات ورحلات !

وهمس في اذني تلميذ وانا منصرف من صفهم يوماً : هل علي جناح ان عابثت فتاة تبيحني من نفسها ما دون الجماع ؟! وكأنما أحس الفتى الأثر السيء الذي حاولت اخفاءه في اطواء نفسي . فراح يقول : ان الفتاة راضية ، وانه ينفس بذلك عن نفسه من عناء الدراسة . الى آخر ما قال !!

---

(١) اسرار ما وراء الستار صفحة ١١٠ – ١١٤ .

وقلت له : ان عمله هذا يحرمه الاسلام ، وان هذه الفتاة « الراضية » ليست ملك نفسها ، واذا كان يثور لها – حين تصدمها سيارة مثلاً – الاهل والعشيرة ، فكيف وهي تلصق بجبينهم عاراً يتوارثه الابناء عن الآباء ، وان لفهـــا هي البلى ، واسدلت عليها ستور النسيان !

وانت ايها الشاب : أترضى ان تبيح احدى قريباتك نفسها افق كما استبحت هذه الفتاة ؟ اذا رضيت بذلك فلست من كرامة المسلمين وغيرتهم في شيء ، واذا ابيت فأنت تأخذ من الناس مـــا لا تعطيهم من نفسك « واول راض سنة من يسيرها » !!

ان الاسلام يا فتى يفرض عليك وعلى هذه – التي لم تقع في حبائلك الا بعد وعود كذاب ، وحيل زورها لك الشيطان وفتح قلبها واذنها عليها – ان لا تلتقيا في خلوة ، فالاختلاط بعيداً عن الاهل يوقظ الهوى ويستثير الشهوة – وان تبتعدا عن الكتب المحمومة والافلام المسمومة ، والجرائد التي تتملق غرائز الشباب بالصورة المنكرة والعبارة الماكرة ، وان يقبل كلا كما على ما ينفعه حتى لا يكون الاسترسال في الافكار سبيل الشيطان اليكما ، وخذا لنفسيكما حظاً من العلاج النبوي « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » والله يصلحني وإياكما !!

وهش الفتى لذلك الكلام ، او هكذا ظهر لي ، والهدى هدى الله !

ان آداب الاسلام هي التي تعصم المرأة من الاعين الزائغة ، والالسنة الماضغة ومن الشباك التي يضعها على طريق الناس من لا يتقي الله .. وحين تقع رقيقـة الدين – والثياب – فريسة طيعة في فخاخ الغواة ، تمضي المؤمنة ميمونة النقيبة ، تمد الدنيا بالخير والبركة والقدوة الطيبة ، فلقد خطب امير المؤمنين عمر ، الى علي – رضي الله عنهما – كريمته ام كلثوم ، فذكر الامام صغرها وقال ، ابعث بهـا اليك فان رضيتها فهي امرأتك ، فلما رآها عمر كشف عن ساقها ، فقـالت :

لولا انك امير المؤمنين لصككت وجهك !!

وما ابلغ دلالة هذه الكلمة التي نود ان تملأ اسماع الذين يعترضون طريق الغافلات المؤمنات لغير الغرض الرفيع الذي جاشت به نفس عمر !

وتروي كتب الادب قصة ابنة الخس ، وكانت كريمة على قومها ، وشغفها حب فتى ، وكان بينهما امر .. قال ابو عمرو . سئلت ابنة الخس : لم زنيت وانت سيدة قومك ؟ قالت : قرب الوساد ، وطول السواد – اي مساورة الرجل من قريب – [١]

٦ – فاطمه بنت محمد تضع علاجاً !

ان المرأة تهوى ، ويعجبها من الرجل – كما يعجبه منها – امور ، ومن حقها ان تحول دون تردد الرجال عليها ، وترددها عليهم ، حتى تتشح بوشاح سابغ من الدين .

سأل الرسول بضعته فاطمة .. اي شيء خير للمرأة ؟ قالت : ان لا ترى رجلاً وان لا يراها رجل ، فضمها الى صدره وقال ذرية بعضها من بعض او بضعة انت مني يا فاطمة . [٢]

وقال صلوات الله عليه « باعدوا بين انفاس الرجال والنساء فانه اذا كانت المعاينة واللقاء كان الداء الذي ليس له دواء » [٣] وقال عمر رضي الله عنه لقوم رآهم يتناضلون « انتسئوا عن البيوت – اي ابعدوا عنها – فان للرجال كلاماً لا يصلح ان يسمعه النساء ! وقال علي كرم الله وجهه « ان النساء لحم على وضم الا ما ذب عنه [٤] ... فهل يتم على ذلك الاساس تزاور الناس؟ فيأنس

(١) الف باء للبلوي جـ ٢ صفحة ٧٦ .

(٢) الف باء للبلوي جـ ٢ صفحة ٧٦ .

(٣) الف باء للبلوي جـ ٢ صفحة ٧٦ .

(٤) الف باء للبلوي جـ ٢ صفحة ٧٦ .

الرجال بالرجال والنساء بالنساء ؟ ام تفتح الابواب لكل طارق ويقضي وقته في الالعاب المسلية مع الزوجات والفتيات، حتى يعود الرجال، او لا يعودون « والدنيا بخير » كما يقولون !!

لقد استأذن عمرو بن العاص على فاطمة – رضي الله عنها – فأذنت له ، فسأل : ثم علي ؟ قالوا : لا . فرجع . ثم استأذن عليها مرة اخرى ، فسأل كذلك ، فقالوا نعم. فقال له علي:ما منعك ان تدخل حين لم تجدني ههنا ؟! قال: ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا ان ندخل على المغيبات .[1]

وعن عقبة بن عامر ان رسول الله قال « إياكم والدخول على النساء » فقال رجل من الانصار . أفرأيت الحم ؟ قال « الحم الموت » [2]

والحم : ابو الزوج ومن يدلى به كالعم والاخ وابن العم ، واقارب المرأة كذلك !!

وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى«النظرة سهم مسمومة من سهام ابليس من تركها من مخافتي ، ابدلته ايماناً يجد حلاوته في قلبه » [3]

ويقول الرسول صلوات الله عليه « إياكم وفضول النظر فانه يبذر الهوى ويولد الغفلة » [4] ورحم الله شيخ المعرة فهو يقول في هذا المعنى –

لا يأمنن على النساء اخ اخا	ما في الرجال على النساء امين
ان الامين ، وان تعفف جهده	يوماً ، تراه بنظرة سيخون !

---

(١) ورد النهي في كشف الغمة جـ ٢ صفحة ٥٥ في خطبة للرسول بشأن ابي بكر وزوجته.
(٢) المنذري جـ ٣ صفحة ٣٨ .
(٣) المصدر السابق جـ ٠ صفحة ٣٤ .
(٤) شرح السيلقية للامام يحيى في شرح الحديث الرابع والعشرين .. اشار لذلك نيل الاوطار جـ ٦ صفحة ١٢٤ .

وكأنما نظر ابو العلاء الى الغيب من وراء ستر رقيــق ، فضحايا الاختلاط تسود صفحات الصحف والمجلات ، وتوجب ان نطيل تأمل حوافظ الاسرة التي قدمتها لك من قرآن يتلى ؛ واحاديث تؤثر ، وواقع فيه للعقلاء ذكرى ومعتبر «ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القي السمع وهو شهيد». [1]

---

(١) ق - ٣٧ .

تعدد الزوجات

١ — لم يبتدعه الاسلام :

لم يبتدع الاسلام تعدد الزوجات ، فلقد تمت به النعمة على النـــاس ، وهم لا يقفون في الزواج عند حد ، تبعاً لامم خلت وأديان تتابعت ، فأباحته الرسالة الخاتمة بقوله تعالى « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع »[١]

ولكنه كما وقف به في هذه الحدود ، وضع له بعض القيود ، فقال تعالى « فـان خفتم الا تعدلوا فواحدة »[٢]

واختلف الناس في العدل الذي نفاه الله بقوله « ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم .. »[٣] ففهمه بعضهم على المساواة الكاملة بين النساء ، ولذلك بادر يقول ان الآية سدت الباب ، وحظرت التعدد ولم ترع الضرورات التي تفرضه لمصلحة الرجال والنساء على السواء !

وفهمه آخرون في ضوء « فلا تميلوا كل الميل فتذروهـــا كالمعلقة »[٣] وهو يرجح الاباحة التي تؤيدها السنة ، وعمل الرسول وصحبه ، يقول صلوات الله

---

(١) النساء : ٣٠ .
(٢) النساء : ٣٠ .
(٣) النساء : ١٢٩ .

عليه : من تزوج اثنتين فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه مائل »[1] وانما يريد الرسول العدل في النفقة والسكنى والقسم في الليالي ، وقد سئل صلوات الله عليه عن حبه لعائشة اكثر من بقية نسائه فقال : « اللهم هذا قسمي فيما املك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا املك »[2] وهو ميل القلب ... ولقد كان لغيلان بن سلمة عشر نساء فقال له الرسول « امسك عليك اربعاً » القسطلاني جـ ٨ ص ٣١ .

٢ ـ حكمة الاباحة !

ولقد يكون للتعدد اضرار ، يذكرون منها : تفضيل بعض النسوة على بعض ، وتعادي ابنائهن ، وتخالف اسرهن مما يتنافى مع المودة والرحمة ، وهي اضرار لا تكاد تذكر امام فوائد التعدد حين يجيء على شرط الاسلام ، ولا يكون المراد منه مجرد الانسياق وراء نزوات جنسية ان كان الاسلام يقدر اصلها،فانه يوجب تنظيمها ويدعو الى التعقل في تلبية داعيها بمثل قول الرسول: « اتق الله فانه نور عينيك ومخ ساقيك » .

ان الاسلام يستهدف في اباحة التعدد ، توسيع فرصه المصاهرة ، ووشائج النسب بين المسلمين ، ورعاية فطرة الرجل وحاجاته الجنسية حين لا تستطيع المرأة تلبيتها في ظروف حملها ووضعها وحيضها ، وفي فرص مرض قد يطول عهده بها ، ويستهدف الاسلام به اكثار النسل الذي شرع الزواج من اجله ، واتاحة فرصة للزوج كي ينجب من غير هذه العقيم التي لم يشأ الله ان يرزقه ولداً منها ، واعرف رجلاً ـ اسمه على اسمي ـ في بلد من بلاد الفيوم في مصر لم يرزق اولاداً من زوجته ، فألحت عليه ـ وقد عيل صبرهما ـ حتى تزوج ، ولم تلبث عروسه غير قليل حتى حملت ثم ولدت غلاماً ، واحتضنته الزوجة

---

(١) كشف الغمة جـ ٢ صفحة ٨٥

(٢) المصدر السابق صفحة ١٥ .

الاولى ، ولم يمض زمن حتى حملت هي الاخرى ، واستدار عام فـــاذا هي ام غلام ولله حكمته التي تدق على العقول والافهام !!

هذه بعض فوائد التعدد .. ومنها ان الرجال من القلة بحيث يوازي عددهم نصف عدد النساء ، لما يتعرضون له من القتل في الحروب ، وفي الحـــديث : « .. ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد » [1]

ولما يتعرضون له من الموت في ايام السلم من اجهاد العمل وتحمل مشاق الحياة ، والنساء لا يستغنين عن العيش في اكناف الرجال أفيكون من الخير ان يشرع الاسلام التعدد وزواج الحلائل ؟ أم يدع النساء فرائس الزنا وطرائد المخادنة ؟!

٣ ـ المنصفون يرون النور الذي خفي بيننا على ابصار :

ان السيد عبد الحميد الخطيب يورد كلاماً نافعاً عن التعدد في اليهوديـة والنصرانية قديماً وحديثاً ، وعن وجوده في بعض الدول كتشيكوسلوفاكيا ، وعن وجود جمعيات نسوية في المانيا وايطاليا تدعو ـ الآن ـ الى التعدد ، ويقول :

ومما يذكره سماحة الحاج امين الحسيني مفتي فلسطين ان كبار المسئولين في المانيا كانوا قد زاروه هو وبعض اخوانه من المسلمين في الايام الاخيرة للحكومة الهتلريه ـ اثناء وجودهم في المانيا ـ وقالوا لهـم : لقد جئنا اليـــكم لتعاونونا بشريعتـكم الاسلامية العظيمة التي ثبت لنا انها اعظم شريعة تحقق سعـــادة البشرية . اننا وضعنا مشروع قانون باباحة تعدد الزوجات ، فانه يوجد عنـدنا ثلاثة ملايين ارملة ، رملتهم الحرب العظمى الاولى ، هذا بخلاف غيرهن ، واننا مقبلون على حرب لا ندري كم ستقضي على شبابنا ورجالنا ؟! ووضعت حكومة هتلر مشروع قانون باباحة تعدد الزوجات ، وصدرته بمذكرة ايضاحية تضمنت بحثاً مستفيضاً في الدفاع عن نظام تعدد الزوجات ، ولكن الظروف العسكرية

---

(١) صحيح البخاري ج ٦ صفحة ١٥١ طبعة بولاق .

حالت بين الحكومة وصدور هذا القانون ، ولكنها لم تحل بعد دون تكوين جمعيات نسوية تطالب بتعدد الزوجات !!

ثم قال السيد الخطيب ولقد نقلت روتر في ٨ ابريل ١٩٥٨ خبراً من لندن يقول: ان اربعة من كبار القسس بزعامة اسقف كانتربري – وهو من اكبر رجال الكنيسة البروتستنتية – قد اجتمعوا مع بعض الباحثين الاجتماعيين في لندن واصدروا قراراً دافع عن نظام تعدد الزوجات ، وطالبوا باباحته للمسيحيين من اجل المصلحة العامة ، ومصلحة النساء انفسهن ، الامر الذي عالجه الاسلام من قبل مئات السنين ، وقد سن له من النظم ما يكفل السعادة والخير العام للجميع » .

ثم قال : فما بالهم يعيبون على الاسلام ما شرع من التعدد ؟! وما للمرأة المسلمة ان تطالب في وقتنا الحاضر بمنع تعدد الزوجات ، وفي استطاعة كل امرأة لا ترضى به ان لا تتزوج بمتزوج ، وليس هناك قوة في الارض تستطيع ان ترغمها عليه ، وفي استطاعتها ايضاً ان تطلب الطلاق من رجلها اذا تزوج عليها ، وتجاب الى طلبها ، ثم هي تتحمل تبعة ما يترتب على ذلك » [1]

ويقول ايتين دينيه « الجزائري المسلم » .

« الواقع يشهد بان تعدد الزوجات شيء ذائع في سائر انحاء العالم ، وسوف يظل موجوداً ما وجد العالم ، مهما تشددت القوانين في تحريمه ، ولكن المسألة الوحيدة ، هي معرفة ما اذا كان من الافضل ان يشرع هذا المبدأ ويحدد ، ام ان يظل نوعاً من النفاق المتستر ، لا شيء يقف امامه ، ويحد من جماحه ؟!

وقد لاحظ جميع الرحالة الغربيين – وذكر نفراً منهم – ان تعدد الزوجات عند المسلمين – وهم يعترفون بهذا المبدأ – اقل انتشاراً منه عند المسيحيين الذين يزعمون انهم يحرمون الزواج بأكثر من واحدة ، وليس ذلك بالامر الغريب على

---

(١) تفسير الخطيب المكي ج ٥ صفحة ٧٥ – ٧٨ .

الفطرة البشرية ، فالمسيحيون يجدون لذة الثمرة المحرمة عند خروجهم على مبدئهم في هذا » .

ثم عاد يتساءل « هل في زوال تعدد الزوجات فائدة اخلاقية ؟!

« ان هذا امر مشكوك فيه ، فالدعارة تندر في اكثر الاقطار الاسلامية ، وبغير التعدد سوف تتفشى فيها ، وتنتشر آثارها المخزية ، وكذلك سوف يظهر في بلاد الاسلام داء لم تعرفه من قبل ذلك هو عزوبة النساء التي تنتشر بآثارها المفسدة في البلاد المقصور فيها الزواج على واحدة ، وقد ظهر ذلك فيها بنسبة مفزعة وذلك عقب الحروب [1]

ويقول : « على ان نظرية التوحيد في الزوجة – وهي النظرية الآخذة بها المسيحية ظاهراً – تنطوي تحتها سيئات متعددة ، ظهرت على الاخص في ثلاث نتائج واقعية شديدة الخطر ، جسيمة البلاء ، تلك هي الدعارة والعوانس من النساء ،والابناء غير الشرعيين .

وان هذه الامراض الاجتماعية ذات السيئات الاخلاقية لم تكن تعرف في البلاد التي طبقت فيها الشريعة الاسلامية تام التطبيق ، وإنما دخلتها وانتشرت فيها بعد الاحتكاك بالمدنية الغربية وضرب المثل بقرية جزائرية اسمها « ميزاب » . [2]

٤ – اما بعد .. فان اصواتاً تنبعث حيناً بعد حين معترضة على تعدد الزوجات وغيره من شرائع الله ، ولو عقل هؤلاء حكمة الله فيما شرع ، ما ابتغوا عنها حولاً ، ولا ارادوا بها بدلاً ، ولكنه الجهل وترديد ما يقول أعداء الاسلام الذين لم ينفذوا منه الى مثل ما نفذ اليه جوستاف لوبون فقال : « ان تعدد الزوحات على مثال ما شرعه الاسلام ، من افضل الانظمة واوفاها بأدب الأمة

---

(١) كتاب « محمد رسول الله » صفحة ٢٠٧ – ٢٠٩ .

(٢) هامش كتاب « محمد رسول الله » ص ٢٣٧ – ٢٣٨ .

التي تذهب اليه وتعتصم به ، واوثقها للأسرة عقداً ، واشدها لآصرته أزراً ، وسبيله ان تكون المرأة المسلمة أسعد حالاً واوجه شأناً واحق باحترام الرجل من اختها الغربية » .

ومن حسن الحظ ان كلام هؤلاء غير واقعي ، فأين التعدد ؟ ان نسبته لا تكاد تبلغ ٣./٠ ؟! فهل تساءل اولئك ان كانوا منصفين عن ضحايا الخلائل ؟! ومهمتهن في رفع نسبة اولاد الزنا هنا وهناك ؟!

تحديد النسل

١ ـ الابناء من جلائل النعم ..

الابناء والذرية من أنعم الله الكبرى التي يَمتَنّ بها على عباده« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء ... »

وهما امنية الانبياء والمرسلين ودعوة المؤمنين ، فابراهيم عليه السلام يقول : « ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ... [١] » « رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي .. [٢] » . وزكريا يفزع الى ربه « رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء » [٣] والمؤمنون يدعون ربهم بكرة وعشيا « ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين ...[٤] » ومواضع هذه المنة ظاهرة في كتاب الله ، فاذا عدنا من هذه الرحلة الى السنة النبوية المطهرة وجدناها تضع الأساس الصالح للأسرة الطيبة في قول الرسول :

---

(١) سورة ابراهيم ٣٧ .
(٢) ابراهيم ٣٩ وما بعدها .
(٣) آل عمران - ٣٨ .
(٤) الفرقان - ٧٤ .

« تناكحوا تناسلوا تكاثروا فاني مباه بكم الامم يوم القيامة »[1] .

« وهو توجيه نبوي يستجيب له الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه ، والذين يعلمون ان الآباء والابناء خلفاء عن الله في عمارة هذا الكون العظيم .

على ان الله جلت حكمته قد شرع الزواج لحكم واسرار، على رأسها حكمة التناسل والانجاب، ابقاء للجنس البشري ، وجعل من فطرته التي فطر عليها الرجل والمرأة باعثاً مستحثاً على هذا الاصل .

والامام الغزالي – رائد علوم الاجتماع والاخلاق – يضرب في ذلك مثلاً ، فيقول في الاحياء :

« سيد اعطى عبده بذراً ، وآلات حراثه ، وأرضاً صالحة للزراعة ، ووكل به رقيباً يستحثه ، فان تراخى العبد في الحرث والزرع ، ونحى ذلك الوكيل الدافع الملح ، فقد استوجب غضب سيده وابعاده.. والله تعالى خلق الزوجين الذكر والانثى ، وزود كلا منهما بخواصه وجعل الشهوة تدعو المرسل والمستقبل الى اظهار حكمة الله في كثرة النسل كما قال الرسول :

والذين يمنعون النسل – كالذين لا يتزوجون – كلاهما معطل لسنة الله التي قد خلت في عباده ، مفوت للغرض الآلهي الذي كتبه الله بخط رباني على اجهزتنا البشرية « .. ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى »[2] قاطع للحبل الذي تواصل به الناس من عهد آدم ، وسيصلهم أبد الدهر !!

والاولاد زينة الحياة الدنيا – كما قال الله – وهم – ان نحن أحسنا تذكيرهم بالله ، واعدادهم للحياة – في موازين حسناتنا يوم القيامة ، ولقد كان سلف هذه الامة يحبون ان يكثر عيالهم ، وكان الخليفة عمر الورع العادل يكثر التزوج ويقول « والله ما اتزوج الا ابتغاء كثرة الولد » ! وكان الرجل لا يعظم

---

(١) الجامع الصغير جـ ١ صفحة ١١٥ .
(٢) طه – ٥٠ .

في الجاهلية حتى يكون اباً لعشرة اولاد يحملون السلاح ، ويحمون الذمـار .. وقصة عبد الله وافتدائه بعـد ان اكتمل لابيه عبد المطلب عشرة اولاد ، قصة سائرة في الناس !!

٢ – في حدود الضرورات

والاسلام لا يقر تحديد النسل كمبدأ ، وقاعدة عامة لا يسع النـاس المحيد عنها ، ولكنه يبيحه في حدود الضرورات ، وما دام الناس يتفاوتون في واقع الحياة قوة وضعفاً ، وغنى وفقراً ، فـان الاسلام .. وهو الدين الذي يعتبر ظروف الناس – لا يرهق الزوجة من امرها عسرا – ولا الزوج كذلك – حين تلح بأحدهما علة او يفدح داء ، ومبدءه الراشد في ذلك « مـا جعل عليكم في الدين من حرج »[١] « ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة »[٢] .

فهو يبيح التحكم في النسل ، وتحديده ، بل ومنعه عند الداعية القـاهرة ، وهو يجيزه من اجل الاولاد الصغار الذين يعرضهم للاهمال حمل امهاتهم بعد شهور قليلة من ولادتهم !! وقد جاء رجل الى رسول الله صلوات الله عليه فقـال : اني اعزل عن امرأتي .. فقال له النبي : ولم تفعل ذلك ؟! فقال الرجل : اشفق على ولدها – او اولادها – فقال النبي : لو كان ضاراً ضر فارس والروم[٣] .

والعزل الذي اشار اليه الحديث طريقة في منع الحمل وتنظيمه ، وقـد استحدث الطب الحديث وسائل تدني من الغاية ، وما أكثر ما يأتي معها ما كتب الله من اولاد ، وقد واجهنا ذلك عن كَثَبٍ ، ولا معقب لحكم الله !

والاسلام يجيز العزل وتنظيم الحمل ومنعه ، للمرأة التي تلجئها الحياة للعمل ، فيستصعب عليها القيام به مع الحمل . روى جـابر (ض) « ان رجلاً اتى النبي

---

(١) الحج – ٧٨ .
(٢) البقرة ١٩٠ .
(٣) كشف الغمة ج ٢ صفحة ٧٨ .

(ص) فقال : ان لي جارية هي خادمتنا ، وسانيتنا في النخل – ساقية الماء من البئر – وانا اطوف عليها واكره ان تحمل ، فقال : اعزل عنها ان شئت فانه سيأتيها ما قدر لها »[1] .

وللفقهاء خلاف في العزل عن الحرة والأمة ، فللرجل ان يعزل عن الامة قولاً واحداً ، ويعزل عن الزوجة الحرة برضاها – عند الاكثرين – ولا يشترط الشافعي رضاها ، ما دام الزوج يرى في العزل مصلحة ..

وكان اولى بالدعاة الى فتح باب تحديد النسل على مصراعيه باسم ضآلة دخل الفرد ، وانحطاط المستوى الاجتماعي ، والفقر الذي بحت بالشكوى منه حلوق ، ان يعملوا على النهوض باقتصاديات البلاد ، واستغلال القوى المعطلة فيها قبل ان يروحوا بكلام حافظ ابرهيم .

أيشتكي الفقر غادينا ورائحنا ونحن نمشي على ارض من الذهب ؟!!

* * *

٣ – قلة الاقوات خرافة

ان ذخائر ارضنا الطيبة تتكشف أمام المنقبين عنها رويداً رويداً ، وما تزال المساحات الشاسعة من الأراضي البور ترد الطرف في صحاري مصر وجوانب سوريا وجبال لبنان وسهوله ، وهذا النيل العزيز في الجمهورية العربية المتحدة يتلقف البحر الأبيض من مياهه العزيزة كل عام ما لو ضاعفنا عليه الأيدي ، وعملنا على الاستفادة منه بحماس الداعين الي تحديد النسل – كما جاءهم من اوروبا التي تعمل في بعض اقطارها على زيادة النسل الآن – لأحلنا فقرنا غنى ، وملأنا أعطاف الأرض الطيبة بالخير والبركة والحياة ..

يقول ا. كريسي موريسون في معرض التدليل على ان العلم يهدم خرافة قلة

---

(١) كشف الغمة ج ٢ ص ٧٨ .

الأقوات ، وعدم كفاية المأكولات لبني الانسان كلما تراخى الزمان ..

« ان النتائج الخلقية التي تنجم عن الاضطرار الى نقص عدد سكان الأرض ، كي يبقى بعضهم على قيد الحياة هي افظع من ان يتصورها الانسان ، وقد أمكن تفادي هذه المأساة في نفس اللحظة التي كان يمكن توقعها فيها »[1] .

ولكن الذين لا يريدون ان يعملوا ، لا يحبون ان يهيئوا بصمتهم فرص العمل للذين تدعوهم عقيدتهم للعمل، وتعتبره ثمرة الايمان الذي لا يبالي الله بالة بسراه، وتعتبره سبيل النصر ، وطريق العزة في الدنيا والآخرة « من عمل صالحاً من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم بأحسن ما كانوا يعملون »[2] « والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر »[3] .

ولو اننا استجبنا لهؤلاء ، لكنا الامة الصغيرة بين الامم التي تقاس عظمتها بثرواتها وافرادها على السواء !! فالأفراد في الامم ثروة تشكل جيش الانتاج الداخلي ، والجيش الساهر للاعداء المتربصين بنا عن يمين وشمال !

وكنا - أخيراً - لقمة سائغة تستطيع اسرائيل – التي تكثر عددها وتغرى بالهجرة اليها – ان تزدردها في عشية او ضحاها ، ويأبى الله ذلك والمؤمنون الذين يفهمون منة الله في قوله : « والله جعل لكم من انفسكم ازواجاً وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون »[4] ؟!

---

(١) كتاب « العلم يدعو للايمان » ص ٧٨ .
(٢) النحل ٩٧ .
(٣) سورة العصر .
(٤) النحل ٧٢ .

حقوق مقدسة

١ – بر الوالدين

بر الوالدين من الفروض المؤكدة ، وعقوقهما من الكبائر ، وحق الآباء في الاحسان مما يؤكده العقل ، وتحتمه المروءة – فضلاً عن وازع الدين – وقد مضت الحياة من ازلها ، وستبقى الى ابدها ، وهي تحض عليه وتدعو اليه ، لانه فطرة الله التي فطر الناس عليها ! ولانه حق رفعه – جل شأنه – الى مستوى عبادته ، وقرنه بها في اكثر من موضع من كتابه الكريم قال تعالى في آية الحقوق العشرة « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين احساناً وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخوراً » وقال « وقضى ربك الا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين احساناً إما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً .. » [٢]

قال الامام النسفي في تفسيره لهذه الآيات من سورة الاسراء « وقد بالغ سبحانه في التوصية بها حيث افتتحها بان شفع الاحسان اليها بتوحيده ثم ضيق

---

(١) النساء : ٣٦ .

(٢) الاسرار : ٢٣ – ٢٤ .

الامر في مراعاتها حتى لم يرخص في ادنى كلمة تنفلت من التضجر مع موجبات الضجر ، ومع احوال لا يكاد يصبر الانسان معها » [1] وفهم عطاء رضي الله عنه من النهي عن كلمة « أف » قوله « ولا تنفض يديك على والديك » ولا تنهرهما » باغلاظ القول لهما » [2] .

ولقدجعل الله شكر الشاكرين لأنعمه لا يتم على خير وجوهه حتى يمازجه شكر الوالدين فقال « ان اشكر لي ولوالديك الي المصير »[3] فدين الوالدين لا يوفيه شكر ولا يحصيه ذكر ، فطالما تعبوا من اجلنا ، وكافحوا لإسعادنا ، وسهروا الليالي - ونحن صغار - حول مهادنا يغمر نفوسهم بالرضى ان تلين المضاجع لجنوبنا ، ويثير قلقهم ان ينبو بنا الفراش ، او تبدو علينا مظاهر القلق، ولن يجد النوم الى جفونهم سبيلاً حتى يستولي علينا الكرى ويغلبنا سلطانه الرحيم، وكم جاعوا لنشبع ، وجادوا بالشيء احوج ما يكونون اليه ليضاعفوا غبطتنا ويزيدوا بهجتنا ؟! وكم دربونا على ما ينبغي للحياة من حيلة ووسيلة بين المصانع والمتاجر والمدارس ؟

٢ - الأم: ومهما نسينا فما ينبغي ان ننسى هذه الأم،التي حملتنا تسعة اشهر، نتقلب بين احشائها في ظلمات ثلاث « يخلقكم في بطون امهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فانى تصرفون » [4] فتقرُّ حركتنا هنالك عينها ، وتهفو نفسها الى اللحظة التي تحفها فيها المخاطر ، وتختلجها فيها من شتى جوانبها الآلام ، وهي تدفعنا الى فسحة الحياة ونور الوجود !!

هذه الام الذي ارضعتنا الاشهر ذوات العدد ، رحيقاً خالصاً من درها ،

---

(١) تفسير النسفي جـ ٢ صفحة ٢٤٠ طبعة الحلبي .
(٢) الف با جـ ٢ صفحة ٤١٠ .
(٣) لقمان : ١٤ .
(٤) الزمر : ٦ .

دون ان تمن بخير او تضن بمعروف ، وهي – مع هذا وغيره – دوحة الاسرة الكبيرة ، وفردوسها الذي نتفيأ ظلاله في جميع مراحل حياتنا ، آمنـــين من مزعجات الايام وهجيرها اللافح ، والأب في ميادينه العامة ، يعمل جاهداً في طلب الرزق ، وتحصيل قوت هذه الاسرة التي هو كافلها ورجلها المؤمل !!

ان اي بر لا يؤدي لوالدينا حق الشكر ، ولا يوفيها بعض الاجر ، بـــل قصارى ما يبلغ اجتهادنا في ذلك لا يكون غير اعتراف بالجميل ، للذين يزكو عندهم الاحساس الكريم ، والشعور بان قليل ما نبذل لهم ، ويسير ما نقـــدم اليهم ، إنما هو كثير جزيل !

ولقد جاء رجل الى رسول الله يستأذنه في الخروج للغزو ، فسأله : هل من والديك احد حي ؟ قال : كلاهما . فقال – صلوات الله عليه – ففيهما فجاهد . اي ابلغ جهدك في برهما والاحسان اليهما فذلك يقوم لك عند الله مقام الجهـاد في سبيله »[١]

وحين سأل صحابي رسول الله « من احق الناس بحسن صحابتي ؟قال : امك . قال ثم من ؟ قال امك . قال ثم من ؟ قال امك . قال ثم من ؟ قال ابوك . »[٢]

فأشار النبي بالصديق الذي لا يغش ، ولا يخدع ، ولا يخون ، ولا يغضب الا حين ينضب معين الصبر ، وهو مع غضبه لا يسمح لعزائم السوء ان تجد الى قلبه سبيلاً . انه الام التي يقول لسان حالها :

أدعو عليـــه ، وقلبي   يقول . يا رب : لا . لا !!

والحديث – وأشباهه من مثل قول النبي « الجنة تحت اقدام الامهات –[٣] يلفت الانظار الى صور جميلة رائعة تبرز في القرآن مزيد ما استهدفت له الام من

---

(١) المنذري ج ٣ ص ٥١٤ .

(٢) صحيح البخاري ج ٨ ص ٢ طبعة بولاق .

(٣) المنذري ج ٣ ص ٣١٦ بلفظ « ان الجنة عند رجليها » ابن ماجة والنسائى .

شدائد ومشاق ، ومـــا وهبت من عواطف كريمة في مراحل حياتنا ، قــال تعالى « ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن ... » [1] وقــال « ووصينا الانسان بوالديه احساناً حملته امه كرهاً ووضعته كرهاً » ثم تجـلو لنا الآية صورة فذة لابن بار ، فيقول تعالى « وحمـله وفصاله ثلاثون شهراً حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة قال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحاً ترضاه واصلح لي في ذريتي اني تبت اليك واني من المسلمين ، اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في اصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون » ثم تتابع الآيات في بيان ولد عاق لوالديه وما يقول ، وما يقال له وما يبوء - آخرة الامر - بـه « والذي قال لوالديه أف لكما اتعدانني ان أُخْرَجَ وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك آمن ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا اساطير الاولين. اولئك الذين حقّ عليهم القولُ في امم قـد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين » [2]

وفي السُّنَّة ان علقمة كان يعاني سكرات الموت، واصحابه يلقنونه الشهادة، فلا ينطلق بها لسانه ، فأخبروا الرسول بخبره فسأل امه عنه ، فذكرت صومه وصلاته وعبادته ، فقال ما عن هذا سألتك ، ولكن كيف بره بك ؟ فقـالت يا رسول الله إنّي عليه ساخطة واجدة ، فقال صلى الله عليه وسلم لأصحابـه ، غضب امه عليه عقد لسانه عن لا إله إلا الله . إيتوني بحطب أحرقه - وكان الرسول يريد ان يحرك فيها عاطفة الاحسان والغفران- فقالت : ابني وحشاشة قلبي تحرقه يا رسول الله ؟ فبين لها ان النار مثواه إلا ان ترضى عنه ، فأشهدت الله ورسوله من فورها انها عفت عنه ، فعاد الصحابة الى علقمة فسمعوه يفيض بالشهادتين لسانه !! » [3] وقال الرسول « الحمد لله الذي انقذه بي من النار » .

---

(١) لقمان : ١٤

(٢) الاحقاف : ١٥- ١٨ .

(٣) ذيل تفسير الكشاف للزمخشري في تفسير سورة الاسراء والف با جـ ٢ ض ٣٥٥ .

٣ ـ الاب : ـ

واذا كانت الام قد ذكرت بخاصة بعد دخولها في عموم آيات البر ، فان الآباء ملحوظو القدر في حق الاحسان والطاعة ، فهم المخاطبون بالمسئولية عن الاسرة ورعاية شأن الأمهات والأولاد ، وقد قال الحسن : « حق الوالد اعظم وبرُّ الوالدة ألزم » .

شكا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم أباه ، فقال انه اخذ مالي ، فدعا به النبي فاذا هو شيخ يتوكأ على عصاه وكان الرجل قد آلمته شكوى ابنه فخاطب نفسه بكلام لم تنفرج عنه شفتاه ، ولم تسمعه اذناه ، ونزل جبريل الى الرسول يأمره ان يسأل الرجل عما حدث به نفسه قبل ان ينظر في شكوى ابنه ، فلما سأله قال الرجل : والله لا يزيدنا الله بك الا إيماناً وتصديقاً . لقد قلت : اناجي ابني :

غذوتك مولوداً ومنتك يافعاً	تعلُّ بما اجني عليك وتنهل
اذا ليلة ضافتك بالسقم لم ابت	لسقمك الا شاكياً اتململ
كأني انا المطروق دونك بالذي	طرقت به دوني ، فعيناي تهمل
فلما بلغت السنَّ والغاية التي	اليها مدى ما كنت فيك اؤمل
جعلت جزائي غلظة وفظاظة	كأنك انت المنعم المتفضل

حتى قال .

فليتك اذ لم ترع حق ابوتي	فعلت كما الجار المجاور يفعل !

واغرورقت عينا الرسول بالدمع ، وقال الرجل :

« ان ابني كان ضعيفاً وانا قوي ، وفقيراً وانا غني ، فكنت لا امنعه شيئاً من مالي ، واليوم انا ضعيف وهو قوي ، وانا فقير وهو غني ، وهو يبخل علي بماله. فبكى الرسول وقال « ما من حجر ولا مدر يسمع هذا الا بكى » ثم قال

للولد « انت ومالك لأبيك »[1]

وصنيع الأبناء بالآباء غرس يؤتى أكله غداً ، عسلاً رضاباً ، او علقماً وصاباً ، حين يجزينا ابناؤنا بما عملنا ، والرسول صلوات الله عليه يقول « بروا آباءكم تبركم ابناؤكم »[2] وفي واقع الحياة شاهد ذلك ودليله فانظر في نفسك وفيما حولك !

ولن يرضى الله عن الابناء ، ولن ترتفع عباداتهم فوق رءوسهم شبراً ، حتى يرتفعوا بانفسهم عن مهاوي الجحود والقسوة والخلاف عن أمر الوالدين فرضي الله في رضاهما وسخطه في سخطهما » ، وقد رأى ابو هريرة رجلاً ومعه آخر ، فسأله عنه ، فقال : هو أبي ، قال ابو هريرة : فلا تمش امامه ، ولا تجلس قبله ، ولا تدعه باسمه ، ولا تستسب له » اي لا تعرضه للسب بسب الآخرين ، والرسول يقول « ان من اكبر الكبائر ان يلعن الرجل والديه قيل يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه ؟ قال يسب الرجل ابا الرجل ، فيسب اباه ويسب امه »[3] وعقوقهما من موجبات اللعنة – وهي اشد ما عنون الله به على غضبه – وفي السنة المطهرة شواهد ذلك ..

٤ – البر شيء هين : –

وهو اهون ما يكون اذا اسديناه للوالدين ، اللذين يعظم عندهما اليسير ، ويثلج صدريهما – في الحياة – البذل الممكن ، وينعش روحيهما – وهما في جوار الله – ان نود من كانا يودان ، ونبرُّ من كانا يحبان ، ونصل ارحاماً وصلانا بها « واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام .. »

---

(١) في الكشاف وذيله في تفسير سورة الاسراء ، وقال مخرجه لم اجده !! وحديث « انت ومالك لأبيك » في الشوكاني جـ ٦ ص ١١ .

(٢) المنذري جـ ٣ ص ٣١٧ .

(٣) المنذري جـ ٣ هامش ص ٣٢٢ .

قال مالك بن ربيعة . بينا نحن عند رسول‌الله – صلى الله عليه وسلم– فجاءه رجل من بني مسلمه فقال : يا رسول الله هل بقي من بر ابوي شيء ابرهما به بعد وفاتها ، ؟! قال نعم . الصلاة عليهما ، والاستغفار لهما ، وانفاذ عهدهما ، واكرام صديقهما ، وصلة الرحم التي لا توصل الا بهما » [1]

وقد تحفى عبد الله بن عمر في بعض اسفاره برجل لقيه فاعطاه قلنسوته وعرض عليه بعيره او فرسه . وكان يتروح عليها ، فسأله غلامه في هذا . فقال « ان هذا كان وداً لعمر واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان ابرّ البر صلة الرجل اهل ود ابيه بعد ما تولى » [2]

وحق الوالدين في البر لا يرفعه شيء، ولا يمنع‌منه اختلاف دين،فهو حتم لزام في حدود الاصل العام « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » [3] قالت اسماء بنت ابي بكر .. قدمت امي وهي مشركة ، فاستفتيت رسول الله فقلت : ان امي قدمت وهي راغبة . قال صلي امك » قال ابن عيينة فأنزل الله فيها « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم‌ان الله يحب المقسطين. .الآيات »[4]وقيل انه‌نزل في سعد بن مالك وموقفه من امه التي آلت على نفسها الا تأكل او تشرب او تستظل حتى تموت او يرجع سعد الى الشرك بعد ان هداه الله للايمان فقال « لو ان لها مائة نفس تموت نفساً نفساً ما رجعت الى الشرك » فنزل قوله تعالى « وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من اناب الي ، ثم الي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون » [5] فأوجب برهما وان

---

(١) المصدر السابق ص ٣٢٣ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) حيث رواه احمد والحاكم .

(٤) الف با ح ٢ صفحة ٤١٠ والآيات من سورة المتحنه ٨ – ٩ .

لزما الشرك .. فكيف بها وهما على الايمان والحق ؟!

٥ – بروة اتقياء !

ولقد حفل تاريخ الاسلام بصور رائعة لابرار بوالديهم ، فكان على زين العابدين – على ما استفاض من انباء بره بامه – يتحامى ان يأكل معها في اناء واحد ، ويقول : « اخاف ان تمتد يدي الى ما سبقت اليه عينها ، فاكون قد عققتها » !

واقرأ الصحيفة السجادية للامام زين العابدين في فصل « دعاؤه لأبويه عليهم السلام » او فصل « الولد البار » من رسالة مفاهيم انسانية « للعالم الجليل الشيخ محمد جواد مغنية ، فالرسالتان فائقتان في هذا السياق قال الشيخ محمد جواد بعد ان اثبت كلمة للامام جعفر « ومن الذي يقرأ قول الامام – زين العابدين » اللهم اجعلني اهابها هيبة السلطان العسوف وابرهما بر الام الرؤوف ، واجعل طاعتي لوالدي ، وبري بهما اقر لعيني من رقدة الوستان ، واثلج لصدري من شربة الظمآن ، حتى اوثر على هواي هواهما ، واقدم على رضاي رضاهما ، واستكثر برهما بي وان قل واستقل بري بهما وان كثر» ثم يتابع الشيخ جوادبعد تعليق نفيس ، اثبات كلام الامام « اللهم وما تعدياً عليّ فيه من قول ، او اسرفا علي فيه من فعل ، او ضيعاه من حق ، او قصرا بي عنه من واجب ، فقد وهبته لهما ، وجدت به عليها ورغبت اليك في وضع تبعته عنهما ، فاني لا اتهمها على نفسي ، ولا استبطئها في بري ، ولا اكره ما تولياه من امري ، يا رب ، فما اوجب حقاً علي ، واقدم احساناً الي ، واعظم منة لدي من ان اقاصها بعدل او اجازيها على مثل ...

اين اذن يا الهي طول شغلها بتربيتي ، واين شدة تعبها في حراستي ؟!

واين اقتارهما على انفسها للتوسعة علي . هيهات ما يستوفيان مني حقهماولا ادرك ما يجب علي لهما ، ولا انا قاض وظيفة خدمتها .. » [١]

---

(١) الصحيفة ١٣٨ وما بعدها – ومفاهيم انسانية ٦٥ وما بعدها .

واحتسب احد الصالحين ابنه ، فلما سئل كيف كان بره بك ؟ قال : ما مشيت نهاراً الا مشى خلفي ، ولا ليلاً الا مشى امامي ، ولا علا سطح بيت وانا فيه » ! وان في ذلك لعبرة لفتيات يرين من المدنية والتطور ، ان يسرن امام الامهات ويسبقن الى الجلوس في المركبات ، ويقدمن بين ايديهن آراء وافكاراً قد تكون اقل شأناً مما محصت التجارب وصفي الزمن .

وان فيها لعبرة لبعض الابناء الذين يعقون آباءهم ، ويكرهون ان ينتسبوا اليهم امام اصدقائهم وعارفيهم ، لان الآباء ممن لم تسلط عليهم الأضواء وليس لهم سطوة الحكام ولا عزة العلماء ، ولا شهرة اصحاب الاعمال ، ولا جاه اولي المال . وحسب هؤلاء شرف الابوة لو عقل الابناء !!

ولا انسى في هذا المجال حكمة تسمية « احدى الزهراوين » بسورة البقرة ! فتلك التسمية — ومقاصد السورة كثيرة جامعة — تمجيد لبر الوالدين ، وبيان لجميل صنع الله بالبارين .. قال الامام النسفي : « انه كان في بني اسرائيل شيخ صالح له عجلة ، فأتى بها الغيضة وقال : اللهم اني استودعتكها لابني حتى يكبر — وكان باراً بوالديه — فشبت البقرة وكانت من احسن البقر واسمنه ، فساوموافيها اليتيم وامه، حتى اشتروها بملء مسكها — جلدها — ذهبا،وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير ... » [1]

ويرحم الله شوقي اذ يقول في تكريم الابوين !

انظر الكون وقل في وصفه	كل هـذا اصله من ابوين
فاذا ما قيل : ما اصلها	قل هما الرحمة في مرحمتين ؟!
فقدا الجنة في ايجادنا	ونعمنا منها في جنتين
وهما العُذرُ اذا ما اغضبا	وهما الصفح لنا مسترضين
ليت شعري اي حي لم يَدِنِ	للذي دانا به ، مبتدئين

(١) تفسير النسفي جـ ١ ص ٤٤ .

وقف الله بنـا حيث همـــا وأمات الرسل إلا «الوالدين»!

٦ - وبعد ، فمن كان يدعو الى بر الوالدين في « عيد الام » فان الاسلام - منذ اول العهد به - قد جعل برهما محض ديننا وارشد اعمالنـــا ، ومضت وصاياه بذلك - في القرآن والسنة - ادباً متبعاً ، ونهجاً راشداً أضفى عليـــه الصالحون بسلوكهم ما يؤكد دور بر الوالدين في رخـــاء الامرة ، التي تؤلف ومثيلاتها امة مجّدها الله بقوله « كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله .. »[١]

(١) آل عمران - ١١٠ .

صلة الرحم وتكافل الأسرة

١ ـ في سبيل هناءة الاسرة :

دعم الاسلام هناءة الاسرة ، فأحكم وثاقها بمن تربطها بهم قربى ، وشد ازرها بما اوجب من تراحم الاخوة والاخوات ، وبني العمومة والعمات ومن يليهم ، فليس ارضى لله من صلة الرحم التي امر ان توصل ، وبر الاهل والعشيرة،الذين يزكو عندهم اسداء المعروف،وليس اجلب لسخط الله من اهدار هذه الحقوق التي يوغر اهدارها الصدور ، ويثير العداوة ، ويورّث الاحقاد ، ويجعل الاسرة المتعاطفة متدابرة متخالفة ..

ورعاية اولي الارحام ، والتوسعة عليهم ، بما لا يشق اسداؤه اليهم ، هو عصام هذه الاسرة من التفكك ، وزمامها من الانحلال والزوال ، وهو دواء أنفس ان غفلت عن مغزى قول طرفة بن العبد الجاهلي :

وظلم ذوي القربى اشد مضاضة ... على المرء من وقع الحسام المهند

فما ينبغي ان تغفل عن صورة الرحم الفذة في قول المعصوم صلوات الله عليه « ان الله تعالى خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم قامت الرحم ، فقالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة ، قال نعم . اما ترضين ان اصل من وصلك ، واقطع من قطعك ؟ قالت : بلى . قال : فذاك لك . ثم قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم . اقرءوا ان شئتم « فهــل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم » [1]

لقد شق الله للرحم اسماً من اسميه الرحمن الرحيم ، ومن رحمته التي وسعت البر والفاجر في هذه الحياة ، وجعلها خالصة للمؤمنين يوم نلقاه ، ليعظم حقهـا على العقلاء ، الذين يفهمون ان الحياة لا يمكن ان تصفو بغير تراحم الاقرباء ، وتعاون الاحياء . ذلك وحي الحياة ، وحديث الواقع قبل ان يكون وحي السماء وحديث النبوة ، ووصايا الآباء للأبناء !!

٢ ــ اقاربنا اعضاء في جسم المجتمع !

وفي افراد كل اسرة من الجفوة ، والشطط عن صراط الله ، قدراً مما شـكا منه احد صحابة الرسول فيما روى ابو هريرة « ان رجلاً قال : يا رسول الله ان لي قرابة أصلهم ويقطعوني ، واحسن اليهم ويسيئون الي ، واحلم عليهم ويجهلون علي ، فقال : ان كنت كما قلت ، فكأنما تسفهم المل – الرماد الحار – ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك » [2]

ومن معاني هذا التوجيه النبوي ، ان لهؤلاء الجاحدين حقوقـاً على ذوي القلوب الكبيرة ، فالاحسان الى المسيء من ادب الاســلام الذي يقول رسوله لعقبة بن عامر -- وقد سأله : يا رسول الله اخبرني بفواصل الاعمال – فقـال : يا عقبة . صل من قطعك ، واعط من حرمك ، واعف عمن ظلمك » [3] ثم اليس هؤلاء اعضاء في جسم المجتمع الذي يمنى بتشويه فادح ان نحن بترناهم من قبل ان نبلو عذراً بمحاولة اصلاحهم . والعربي يقول :

وامنحه مالي ، وودي ، ونصرتي   وان كان مطويَّ الضلوع على بغضي

---

(١) المنذري جـ ٣ ص ٣٣٨–٣٣٩ . والآية من سورة محمد ٢٢–٢٣ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٤١ .

(٣) المصدر السابق ص ٣٤٢ .

ويقول مسكين الدارمي

أخاك أخاك ان من لا أخاً له   كساع الى الهيجا بغير سلاح
وان ابن عم القوم -فاعلم- جناحه   وهل ينهض البازي بغير جناح ؟!

ويقول المقنع الكندي :

وان الذي بيني وبين بني ابي   وبين بني امي لمختلف جدا
فان اكلوا لحمي ، وفرت لحومهم   وان هدموا مجدي بنيت لهم مجدا
ولا احمل الحقد القديم عليهم   وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا!

ومن قبل هؤلاء قال حاتم :

شربنا بكأس الفقر يوماً وبالغنى   وما منها إلا سقانا به الدهر
فما زادنا بغياً على ذي قرابة   غنانا ولا ازري باحسابنا الفقر !

واين من هؤلاء الامجاد ، ذلك الذي قيل فيه :

سريع الى ابن العم يلطم خده   وليس الى داعي الندى بسريع !

٣ - صلة الرحم في كتاب الله :

قال الله تعالى « انما يتذكر اولوا الالباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب ... الآيات » [١]

وقال « والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار » [٢]

---

(١) سورة الرعد (١٩-٢١) .
(٢) سورة الرعد : ٢٦ .

فانظر في اي سياق وضع الله الذين يصلون ارحامهم ؟ ومع من سلك الجفاة القاطعين ؟! ولا اراك تود ان تذكر بين الذين يفسدون في الارض ، فيستوجبون لانفسهم لعنة الدنيا والآخرة ، وانما تسارع لتكون بين اولي العقول الراجحة والقلوب المبصرة ..

« فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم » [١]

وقال تعالى « وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ... » [٢] قال الامام النسفي « كان المسلمون في صدر الاسلام يتوارثون بالولاية في الدين ، وبالهجرة لا بالقرابة ، ثم نسخ ذلك ، وجعل التوارث بحق القرابة » [٣]

٤ ــ الرسول المثل الاعلى في صلة رحمه :

ان القول في صلة الرحم ذو سعة .. لكني اجتزىء منه ببعض اطراف من تاريخ رسول الله وآله في ذلك ، فهي قبس يضيء جوانب البحث ، ويجمع القلوب والعقول على الاسوة الحسنة بالرسول في بره باهله وحدبه على مؤمنهم وكافرهم على السواء ، ولعل في ذلك ذكرى للذاكرين ..

كان العباس عم رسول الله بين اسرى بدر ، مع عقيل بن ابن طالب، وغيره من ابناء اخوته وحلفائهم، فلما امسى الاسارى في الوثاق، بات النبي ليلته مسهداً فقال اصحابه ، مالك يا رسول الله ؟ قال سمعت انين العباس من وثاقه ، فقاموا اليه فاطلقوه ، فنام النبي بعدئذ ، ثم لم يلبث ان اقتضاه فداءه ، وفداء ابني اخويه ، وحليف بني هاشم ــ عقبة بن عمرو ــ فالفداء حق المسلمين ، وما كان صلوات الله عليه ليحابي في شيء منه احداً ، وان كان عمه الذي توجع

---

(١) محمد : ٢٢-٢٣ .
(٢) الاحزاب : ٦ .
(٣) تفسير النسفي جـ٣ ص ٢٢٦ .

لأنينه .!!

ولقد كان اسلام حمزة برأ منه بابن اخيه ، يوم ان عاد من الصيد ، فقالت له امرأة : ان ابا جهل آذى ابن اخيك وسب اباه ، فــذهب حمزة من فوره الى ابي جهل فشجه وانبّه وقال « أتسب محمداً وانا على دينه اقول مـا يقول » ؟! وبهت عدو الله وعدو رسوله عند ذلك ، وكان اسلام حمزة اوجع لقلبه وانكى من هذا الاذى المادي الذي اصاب جسمه ، وبقي الرسول يذكر هــذه المنة لعمه ، حتى وقف على جثمانه حين استشهد في احد ، وقال « يرحمك الله يا عـم فلقد كنت وصولاً للرحم فعولاً للخيرات » .

وكان فتح خيبر عيداً من اعياد الاسلام – وعاد يومئذ جعفر من الحبشة – فقال النبي« ما ادرى بأيهما انا اشد فرحاً بفتح خيبر ام برجوع جعفر»؟! وتوالت الايام ، ونعم جعفر بالشهادة في غزوة مؤتة ، وضجت المدينة ببـكاء الشهداء ، وسمع الناس الى النبي وهو يقول « لكن جعفر لا بواكي له » ثم يلتفت الى اهله ويقول « اصنعوا لآل جعفر طعاماً فقد نزل بهم ما يشغلهم » !!

يقول عبد الله بن جعفر « جاءنا النبي بعد ثلاث ، من موت جعفر ، فقــال « لا تبكوا على اخي بعد اليوم ، وادعوا اليّ بني اخي » فجيء بنا ، كأننـا افراخ ، فأمر الحالق فاصلح من شعرنا ثم داعبنا !!!

وكان النضر بن الحارث من اسرى بدر ، فلما بلغ الرسول ، امر بقتــله ، فطالما كذّب النبي وافترى عليه – وهو يعرفــه كنفسه – اليس هو القائل « لقد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً ارضاكم قولاً ، واصدقكم حديثاً فلما بــدا في صدغيه عارض الشيب ، وجاءكم بما جاءكم به ، قلتم انه كاذب ؟ والله ما هو بكاذب والله ما هو بكاذب والله ما هو بكاذب » ثم لم يلبث ان بدا على طبيعته من الحقد والجهالة .. يقول الامام النسفي « كان النبي عليه السلام يقرأ القرآن ، ويذكر اخبار القرون الماضية في قراءته فقال النضر بن الحارث : لو شئت لقلت مثـل هذا » وهو الذي جاء من بلاد فارس بنسخة من حديث رستم واحاديث العجم.

فنزل قول الله تعالى« وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين » ... وقال له النبي : ويلك . هذا كلام الله ، فرفع النضر رأسه الى السماء وقال : « ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب أليم »[1]

وعلمت قتيلة بمصرع اخيها بعد بدر ، فكتبت الى رسول الله :

أمحمدٌ ولدتك خير نجيبة ... في قومها ، والفحل فحل معرق

ما كان ضرك لو مننت ، وربما ... منَّ الفتى ، وهو المغيظ المحنق

والنضر اقرب من قتلت قرابة ... واحقهم ان كان عتق يعتق

فرقّ الرسول لقولها ، وقال « لو بلغني شعرها قبل قتله لعفوت عنه » .

٥ ـ كيف اينع غراس النبوة .

لقد اينع غراس النبوة ، وآتي اكله ، وجنت الحياة جناه ، فترابط الافراد في الاسرة ، وتعاونت الاسر على البر والتقوى ، في مجتمع لم تعرف الحياة ـ ولن تعرف ـ مثل تواصله وتكافله وكان المسلمون ـ كما وصفهم نبيهم ـ تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم »او كما قال الله تعالى « ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصه »[2] وهو نعت لمشاعرهم مع كل مسلم ، وإنه لأجْمَعُ واوفى اذا نظرنا الى حالهم مع ذوي القربى ، الذين ذكرهم الله بمالهم عندنا من حقوق في آية الحقوق العشرة (النساء ـ ٣٧) وآية البر « البقرة ١٧٧ » وغيرهامن آيات القرآن الكثيرة ..

فهذا ابو عبيدة عامر بن الجراح يقول « وددت اني كنت كبشاً فذبحني هلي ، فأكلوا لحمي ، وحَسَوْا مرقي » !

ولقد كان مسطح بن اثاثة بن خالة ابي بكر ، فقيراً مملقاً ، يعود عليه الصديق

---

(١) تفسير النسفي جـ ٢ ص ٧٨ آيات الانفال ٣١ـ٣٢ .

(٢) الحشر ـ ٩ .

بفضل ماله ، فلما شارك في حادث الإفك ، منع عنـه ابو بكر خيره وبره ، وللرجل عذره الناهض— حق بعد ان نزلت آيات النور في المبرأة الصديقة— ولكن الله عاتب ابا بكر ، وحبب اليه ان يدفع بالتي هي احسن ابتغاء مرضاة ربه ، فقال تعالى « ولا يأتل – لا يقصر – اولوا الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم »[1] .

وعاد ابو بكر الى بر من أساء اليه في اكرم اهله عليه !!

٦ – صلة الرحم مثمرة في الدنيا والآخرة

ان الرحم وشيجة الٓهية ، نافعة في الدنيا والآخرة، فالنبي يقول « من أحب ان ينسأ له في عمره وان يوسع عليه في رزقه ، فليصل رحمـه »[2] وهي – بعد الايمان بالله – أبر ما يرجى يوم القيامة ، قال تعالى مؤيساً الكافرين من رحمـته: « لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم يوم القيامة يفصل بينكم ... »[3] فليس عجيباً ان يكثر الرسول الوصاة بهذه الفضيلة فيقول : « بلوا ارحامكم ولو بالسلام »[4] يقول البلوى : « صلوا أرحامكم بما أمكن ، فان عدمتم ، فأقل شيء يكون بالسلام ، وهو بأن تزور ذا رحمك ، فتسلم عليه ، وتؤنسه بالقول ، وتلـين له الحديث وبمثل هذا يستمال الغريب ، فكيف بالقريب ، والنبي صـلى الله عليه وسلم يقول : « الا ادلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم ؟ افشوا السلام بينكم »[5].

فهل نرعى الرحم – افراداً وجماعات وشعوباً – فنرغم غمرات الحياة التي تحيق بامتنـا على التبدد والزوال ، ونشعر الذين يجالدون الاستعمار – في بعض

---

(١) سورة النور – ٢٢ .
(٢) متفق عليه وفي رياض الصالحين ص ١٤٥ .
(٣) الممتحنة – ٣ .
(٤) المجازات النبوية للشريف الرضى ص ٨٤ .
(٥) الف با ج ١ ص ٤١١ .

اقطارنا – انهم ليسوا وحدهم في معترك الأحداث ، وانما يهتم بأمرهم المسلمون بكل مكان « ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » « وانما يأكل الذئب من الغنم القاصية » كما قال صلوات الله عليه .

٧ – من التاريخ ..

كان عبد الملك بن مروان في سمره – ذات ليلة – مع ولده واهله وخاصته ، فقال لهم : ليقل كل واحد منكم أحسن ما قيل في الشعر ، وليفضل من رأى تفضيله فأنشدوا وفضلوا ، فقال بعضهم امرؤ القيس ، وقال بعضهم النابغة ، وقال بعضهم الأعشى ، فلما فرغوا قال : أشعر – والله – من هؤلاء جميعاً عندي الذي يقول :

وذي رحم قلمت اظفار ضغنه ... بحلمي عنه ، وهو ليس له حلم
يحاول رغمي لا يحاول غيره ... وكالموت عندي ان يحل به الرغم
اذا سمته وصل القرابة سامني ... قطيعتها تلك السفاهة والاثم

الى آخر الأبيات « في أمالي القالي جـ ٢ ص ١٠٣ – ١٠٥ » فقيل له يا أمير المؤمنين ، من قائل هذه الأبيات ؟ قال معن بن أوس المزني !!

ولقد قيل للاحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم ؟ قال : من قيس بن عاصم المنقري جاءوا اليه بولده مقتولاً ، قد قتله ابن عم له ، وكان قيس محتبياً – يجلس القرفصاء – فوالله ما حل حبوته ولا قطع حديثه فلما انتهى منه التفت الى ابن عمه – وهو في وثاقه فقال له:يا بني نقصت عددك واوهنت ركنك وفتت عضدك وأشمت عدوك وأسأت بقومك ، وامر بنيه ، ان يحملوا دية اخيهم الى امه – وكانت غريبة – مواساة لها وترضية ، وأمر بدفن ابنه واطلاق ابن اخيه وأنشد :

اقول للنفس تأساء وتعزية ... احدى يدي اصابتني ولم ترد

كلاهما خلف عن فقد صاحبه		هذا اخي حين ادعوه، وذا ولدي

وقيل للاحنف – بم سدت قومك ؟ فقال ! لو كان قومي يعافون المـاء ما شربته !

ولله وحده الفضل والمنة « يا أيهـــا الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجـــالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيباً»[١] .

(١) صدر سورة النساء .

الأبناء في ذممنا حقوق

١ – أولادنا ..

اولادنا هم اشطار قلوبنا ، وفلذات اكبادنا ، ورياحين دنيـــانا ، وثمرات حياتنا ، بهم تحيا المنازل ، وتعمر الدور ، وتغمر جوانبهـا بالغبطة والسرور ، وهم – اينما كانوا – قرة عين للآباء ، كل جهد في سبيلهم محبب ، وكل عنـــاء في تحصيل ارزاقهم يطيب ويعذب ، نسهر لينـاموا في رضى واستبشار ، ونجوع ليشبعوا ما تعاقب الليل والنهار ، ونحوطهم من مزالق الحيـاة بالمهج والارواح لأن حياتهم امتداد لحياتنا ، ولأنهم حماة امجادنا ، وحملة اسمائنا من بعدنا :

ومن قاس بالأبناء أي عطية ... لقد أخسر الميزان ، وارتكب النكرا
فأبناؤنا سلوى الحياة ، وانهم ... لدى غدنا الموعود ، من انفع الذكرى
نورثهم أمجــادنا ، ونعدهم ... لنحيا بهم – في عمرهم – مرة اخرى [١]

والأولاد – وان كانوا فتنة – كما قال الله – ومجبنة مبخلة محزنه مهرمة – كما ورد في الأثر ، ان رعايتهم للون من أزكي الوان الطاعة ، فلقد سأل موسى ربه . اي الاعمال أحب اليك ؟ قال « إلطاف الصبيان فـــانهم فطرتي ، واذا ماتوا ادخلتهم جنتي » ونحن بخير ما تخلقنا باخلاق الله ، فقد وسع فضله البر

---

(١) من شعر المؤلف ..

والفاجر ، والمؤمن والكافر ، والطائع والغادر ، فنشرنا ألوية التعـاطف فوق رءوس ذرارينا ومن يلينا ، مؤدين حق الانسانية التي وثق الله بنا عراها !!

٢ – درس من الحيوان ..

واذا كان الحيوان الأعجم ، يرأم صغاره ، ويحنو عليها ، ويلحظهـا بوفور عنايته ، ويتملكه فيض الشفقة ، وهو يجوب البراري والقفار ، ويجوس خلال الديار ، في طلب قوتها، ثم يرجع الى مستقرها الذي وطأ لهـا جوانبه ، بادي الرضى بحسوة ماء ، او يسير غذاء ثم هو بعد ذلك ينهضها من اكنانها ، ويدربها على مـا ينبغي للحياة من حيلة ووسيلة ... فما اكثر ما تضع عـاطفة الابوة في اعناق الراشدين من حقوق ..

٣ – الأبوة والأمومة من أشرف المهام ..

ان الابناء ودائع ينبغي ان ترعى ، وامانات لا يشتغل بملاذه وشهواته عنها، الا من فسدت فطرته ، وخف دينه ، واستوجب الجحود في خريف الحيـاة ، حين يتطاول الى بر الأبناء – وهيهات–وصلوت الله وسلامه على سيدنا محمد الذي يقول « رحم الله والداً اعان ولده على بره[1] .

« ان الابوة والامومة هما اعظم تبعة تقع على كاهل الانسان »[2] وابعـد الناس عن شرف الابوة هؤلاء الذين يتصل ترددهم بين اعمـالهم ومقاهيهم ، فلا يلمون ببيوتهم الا حين تصرخ بهم بطونهم ، او يُلحُّ عليهم نوم ثقيل ، دون ان يشرفوا على تصرفات الابناء ، فيشدوا ازر العامل ، ويشحذوا همة الخامل !!

وابعد الناس عن شرف الامومة ، هذه التي تضيق بالبيت ذرعـاً – وهو مهبط رحمة الله ورضاه – فتسرف في زيارات،لا تتعلق بها فائدة، ولا تدعو اليها

---

(١) الجامع الصغير ج ٢ ص ٢٠ .
(٢) أ – كريسي موريسون : العلم يدعو للايمان ص ١٤٤ ترجمة الفلكي .

ضرورة، ويَدَعَنَ اغلى كنوزهن – اولادهن – للخدم، يصنعونهم كما يريدون، وأين هؤلاء واولئك من الاجر الذي جعله الرسول للعاكف في بيته، على تربية اولاده، وإعدادهم للغد الطيب، بقدر اجر العاكف في المسجد.[1]

٤ – بر الرسول بابنائه :

والرسول في هذا الجانب من حياته – كما هو في شتى جوانبه – عظيم حقاً.

لقد كانت فاطمة تدخل عليه، فيقوم لها، ويأخذ بيدها، ويقبلها، ويجلسها في محله.[2]

وكان اذا اراد سفراً، جعلها آخر العهد به، ثم صلى ركعتين، ومضى. فاذا قدم من سفر، جعلها اول العهد به، بعد ان يبدأ بالمسجد فيصلي ركعتين.[3]

وكان يحمل امامة بنت زينب – ابنته – وهو يصلي الفريضة، فاذا سجد وضعها، واذا قام رفعها.[4]

وحدثت الصديقة بنت الصديق – انه أهديتْ لرسول الله هدية، فيها قلادة من جزْع، فقال لاهدينّها الى احب اهلي الي، فقالت النساء: ذهبت بها ابنة ابي قحافة، ودهشوا حين دعا الرسول امامة فأعلق القلادة في عنقها « ابن سعد ».

والرسول بذلك يعلي من قدر الانثى. التي ظلت مقهورة مظلومة عبر الاجيال، تختلف الانظار في مجرد انسانيتها، حتى جاء الاسلام فأكد عزتها، وأنحى باللائمة على الذين كانوا يئدون البنات خوف العار، وقرنها في التكاليف

---

(١) الجامع الصغير ج ٢ ص ١٣٢.
(٢) البخاري في الادب المفرد.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) البخاري ج ٨ ص ٧ بولاق.

الإلهية بأخيها الرجل !!

وكان – صلوات الله عليه – يحمل ابنه ابراهيم من بيت امه ماريه ، الى بيت عائشة ، ويقول : انظري اليه – يقصد شبهه به !!

وكان يتلطف بالحسن والحسين – رضوان الله عليهما – فيرفعهما على ظهره ، ويسير بهما على يديه ورجليه – ابتغاء مسرتهما .

قال شداد بن الهاد « سجد رسول الله (ص) سجدة اطالها ، فقال النـــاس – عند انقضاء الصلاة – يا رسول الله ، انك سجدت بين يدي صلاتك سجدة اطلتها ، حتى ظننا انه قد حدث امر ، او أنه اتاك وحي . فقال عليه السلام ، كل ذلك لم يكن ، ولكن ابني هذا – الحسن او الحسين – ارتحلني، فكرهت ان اعجله حتى يقضي حاجته . [1]

ه – الطفولة المشردة ثمرة انانية الآباء والامهات :

ارتفعت عقائر المصلحين في بعض الاقطار ، بالشكوى من الطفولة المشردة، وقرروا انها اكبر اسباب التخلف عن ركب الحياة – أنى وجدت – وفـات هؤلاء اصل هذا الداء ، ومصدر هذه العله ، وليسـا الا انانيـــة بعض الآباء والامهات ، وطغيانها على معنى الابوة والامومة فيهم ، وكان الاحساس بتفاقم هذا الخطر منذ تنكبنا طريق الاسلام ، وتجاهلنـــا وصاياه التي كفلت نظام الاسرة على خير وجوهه !

رأى الاقرع بن حابس – سيد قومه – رسول الله ، وهو يقبل ابنيه الحسن والحسين ، فقال : يا رسول الله ، ان لي لعشرة اولاد ، ما قبلت واحداً منهم ، فقال – صلوات الله عليه – «وماذا افعل اذا كان اللهقد نزع الرحمة من قلبك[2]

---

(١) المجازات النبوية ص ٢٨٨ .

(٢) الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٢٠٤ .

وما اكثر الأبناء الذين يتشردون من جفاء الرجال والنساء الذين قد يرون في قول الرسول «من كان له صبي فليتصاب له» لوناً قديماً من الوان الحياة ، او فرصة للتدليل آلذي تذوب فيه شخصية الابناء ، وقد يزداد عجبهم حين يعلمون ان الرسول كان يتسع افق بره بابنائه ، ويتجاوزهم ، فيغسل وجه اسامة بن زيد في صباه ، ويسميه الحِبّ بن الحِبّ[1] وكان يداعب ابناء اصحابه اذا حضروا، ويسأل عنهم اذا غابوا ، لانه النبي الانسان ، الذي يقول فيه مولاه « النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم .. » [2] وروى ابن سعد ان ام خالد بنت خالد بن سعيد قالت : اتيت رسول الله (ص) فذهبت العب بخاتم النبوة فانتهرني ابي فقال الرسول : دعها ثم قال : أبلي وأخلقي يكررها ثلاثاً ، وعمرت ما شاء الله ان تعمر !! فماذا عسى هؤلاء ان يقولوا ، في قول بونابرت ..

« لا افهم الحياة بلا زواج ، ولا افهم الزواج بلا ابنـــاء ، ولا افهم الابوة والامومة بلا حنان ، ولا احب المرأة التي تريد ان تقوم في هذه الحياة بما يجب على الرجل وحده ان يقوم به – فالمرأة المسترجلة في رأيي كالرجل المخنث » !! وما عساهم يقولون في قول برناردشو !

« لست معلماً للامهات ، ولا مدرباً للاطفـــال ، ولكنني احتقر المرأة اذا تزوجت ، ولم تقم بواجبها ، كأم وزوجة في آن معاً !! وامقت الرجـــال اذا تزوجوا ، ورزقوا ابناء ، وجعلوا حياة ابنائهم كالجحيم ، ان من لا يستطيع القيام بحق الابوة والامومة ، ينبغي له ، ان لا يكون اباً او اماً » .

٦ – دستور نبوي :

واين مقررات علوم النفس والتربية ، مما ترك سلفنا ، من صور التوجيـــه الصحيح ، في مثل قولهم « لاعب ولدك سبعاً وادبه سبعاً وصاحبه سبعاً ثم اترك حبله

---

(١) انظر كتب الرجال .

(٢) الاحزاب : ٦ .

على غاربه ؟!

ان الشر لن يخلص الى ناشئتنا ان نحن وهبناهم من ذات انفسنا ، هذا الاهتمام ، والعود غضّ طري والنفوس قابلة للتشكيل !

وخذوا مجيد الخلائق من تراث الرسول ، فقلدوا بها اعناق بنيكم ، وزينوا بها نفوسهم ، فهي اجدى عليهم من المال المكنوز ، الذي يبدده الحمقى في يوم او بعض يوم ، ثم تبقي عليهم حسرات الجهالة ، وسوء التربية ما بقوا — وقد قال الرسول صلوات الله عليه « من حق الولد على الوالد ان يحسن اسمه وادبه وكنيته ، وان يعفه اذا بلغ ، وان يعلمه كتاب الله والسباحة والرمي » .

وقد قرأ النبي قول الله تعالى « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة » [1] ثم قال « الا ان القوة الرمي ، الا ان القوة الرمي ، الا ان القوة الرمي » ، وسابق النبي عائشة [2] وصارع ركانة — مصارع قريش — ، وامر عمر أن لا يمنع الحبشة وهم يلعبون بحرابهم عند النبي ، ورأى نفراً من « اسلم » ينتضلون بالسوق فقال : ارموا يا بني اسماعيل فان ابا كم كان رامياً، ارموا ، وانا مع بني فلان ، فأمسك احد الفريقين بايديهم ، فقال لهم الرسول : ما لكم لا ترمون ؟ قالوا كيف نرمي وانت معهم ؟ فقال : ارموا وانا معكم جميعاً » .

وصح ان النبي كان يسابق على ناقته العضباء — وكانت لا تُلْحَق — وقد سُبقت يوماً ، فشق ذلك على المسلمين وقالوا : سبقت العضباء ، فقال صلى الله عليه وسلم : « ان حقاً على الله ان لا يرفع شيئاً من الدنيا الا وضعه » .

وكان يهتم بدوابه ، ويمرغ فرسه في التراب ، ثم يمسحه عنه بردائه ، كما يفعل الرجل الحفي بابنائه !!

الا ترى الدستور النبوي الحافل باسباب العزة؟! وماذا وراء الاسم الكريم،

---

(١) الانفال : ٦٠ .

(٢) كشف الغمة ج ٢ ص ٨٩ .

والكنية الطيبة ، والادب الصحيح ، ومبادرة الزواج عند اكتمال الشباب ، ونضج الغريزة ، وامكان النهوض بتكاليف الاسرة الجديدة ؟!

ولم يهمل الرسول الرياضة الروحية في هذه المرحلة التي يواجه فيها المراهق انفعالات شتى ، ولكنه جعلها على قدم واحدة مع الرياضة البدنية التي ضرب بنفسه فيها المثل كما علمت ، وجعل السباحة والرمي ، رمزاً لما وراءهما من الرياضات الرفيعة ، التي لا تهذب - وحدها - الارواح ، ولا تكبح الجماح ، ولا تثمر ما نرجو من صلاح ، حتى يتندى عليها قطر كريم من كتاب الله وسنة رسوله ، وامثلة القدوة الطيبة في سلفنا الكريم ، و« المؤمن القوي خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف » وقد مدحت ابنة الشيخ الكبير ، موسى عليه السلام بقوة البدن وقوة الروح فقالت ما حكى الله عنها « ان خير من استأجرت القوي الامين »[1]

وما اكثر ما يترامى الى الاسماع ، من انباء تفاهة بعض الأبناء ، وانحرافهم عن طريق الصواب في كثير من وجوه الحياة ، ومسئولية الآباء في ذلك ، على درجة سواء ، مع مسئولية الحكومات ، التي تستطيع بهيبة القانون ، وسطوة السلطان ان تلفت الرقاب الظالمة ، وتذل المعاطس التي لا يعطفها عن الشر ، غير الغلبة والقهر ، « والامام راع وهو مسئول عن رعيته والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته » ويقول ذو النورين رضي الله عنه « ان الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » وصدق الله العظيم « وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس »[2] .

واذا كان الغرب يفاخر بأمثال هذه الالمانية ، التي كانت ترتاد بابنائها الخرائب ، في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، فلما سألها الناس في ذلك . قالت: اني اعلم اولادي ماذا فعل الاعداء ببلادهم !

---

(١) القصص : ٢٦ .

(٢) الحديد ٢٥ .

فان رصيدنا من ذلك كبير ، يدعو الرجال والنساء الى ان يصلوا انفسهم بأوائلهم في مجال الإسوة ... دفعت الخنساء ابناءها الأربعة ال الجهاد ، وهي احوج ما تكون الى احدهم ، بعد ان اضناها لاعج الحزن على أخيها صخر ، وحنى ظهرها الدهر ، فلما نعموا بالشهادة ، وعاد الجيش الاسلامي ظافراً منتصراً قالت الخنساء : الحمد لله الذي شرفني باستشهادهم ، ولعل الله ان يجمعني بهم في مستقر رحمته »[1] .

وهل ننسى في أعلى قمم الفخر نسيبة بنت كعب الأنصاريه ؟! لقد كانت يوم احد في فرصتها الفذة تنتضي سيفها — حين انكشف المسلمون وتناولتهم سيوف المشركين، ولم يبق غير نحو عشر رجال يذودون عن رسول الله ويحولون دون الوصول اليه — وتصول حول رسول الله وتجول فتضرب يميناً وشمالاً ، والصفوة الكرام من أصحاب رسول الله يرون منها صدق مضائها ، حتى قال الرسول : « ما التفت يميناً ولا شمالاً الا وانا اراها تقاتل دوني » .

هل ننسى نسيبة .. وهي في أحُدٍ ترى الدم يسيل من عضد ابنها فتسارع اليه وتعصب جرحه — والرسول ينظر — ثم تقول : انهض بني فضارب القوم.. وجعل الرسول يقول : « ومن يطيق ما تطيقين يا ام عماره » ؟!

قالت : واقبل الرجل الذي ضرب ابني . فقال رسول الله : هذا ضارب ابنك . قالت : فاعترضت له ، فضربت ساقه فبرك[2].

ودفعت ذات النطاقين — اسماء بنت ابي بكر ولدها عبد الله بن الزبير الى الشهادة بعد ان دانت له العراق والحجاز واليمن ثماني سنين ، وتمت له فيها امرة المؤمنين ، ثم لم يلبث ان انتقص منه عبد الملك العراق ، ورماه بالحجاج الذي لحق به حتى ألجأه الى مكة ، واشتد أوار الحرب بينهما حتى دخل على امه يستلهمها الرأي فيما يعد به الحجاج ويمني، اوفي مواصلة الجهاد، بكلامه المشهور ،

---

(١) الاصابة جـ ٨ ص ٦٦ — ٦٧ .
(٢) في اخبارها تفصيل جليل في سيرة ابن هشام وكتب السير والادب .

فقالت له : يا بني ان الشاة لا يضرها السلخ بعد الذبح في كلمات وضاء كلها ايمان وتضحية »[1] .

وكان حلة بن أشيم في الغزو ، ومعه ابن له فقال : اي بني تقدم فقاتل حتى احتسبك ، فحمل يقاتل حتى قتل ، ثم تقدم هو فقتل ، فلما اجتمع النساء عند امرأته معاذة قالت : ان كنتن جئتن لتهنئتي فمرحباً بكن ، وان كنتن جئتن لغير ذلك فارجعن »[2] ...

وحين قال رجل في غلام ذكي : « لئن عاش ليسودن قومه » قال ابوه : « ثكلته ان لم يسد قومه وغير قومه » .

* * *

وتتزاحم شوامخ من الامثال اجتزىء منها في هذا المجال بذلك المثال .

« عندما اضطربت احوال المغرب – منذ ثلاثة قرون – فكر وفد من قرية سلجماسة « في صحراء المغرب » في الذهاب الى الحجاز ، لاستقدام حاكم للمغرب من نسل الرسول ، ونزلوا في ميناء ينبع ، وعرضوا الأمر على حاكمها مولاي شريف ، وكان له ثلاثة اولاد وعند اختيار احدهم للذهاب الى المغرب ، وجه سؤالاً الى كل منهم على انفراد .

قال : ماذا تفعل اذا اصابك خير او شر من احد ؟!

قال الاول – اقابل الخير بالخير ، والشر بالشر .

وقال الثاني – اقابل الخير بالخير وادفع الشر بالخير .

وقال الثالث – اقابل الخير بالخير ، واتمادى في فعل الخير حتى يصبح

---

(١) بلاغات النساء ١٣٠ – ١٣٣ وكتب الرجال ..
(٢) تاريخ الاسلام للذهبي .

عندئذ قال الوالد لابنه الثالث : انت اصلح من يحمل الامـانة في المغرب ، واوفد ابنه الذي أسس اسرة العلويين في المغرب من ثلاثة قرون ، وكان الملك محمد الخامس هو الحاكم السابع عشر من ابنائها »[1] .

ويضوع في هذه الايام شذى عبق يصل الفروع بالأصول فيقول الملـك محمد الخامس في خطاب له على المنبر ، في عيد الجلوس .

« .. اما انت يا بني فاحمد الله الذي شرح للايمان صدرك ، ورفع بالاخلاق قدرك ، ونشر بالتضحية في الخافقين ذكرك واياك وان تحيد عن صراط الاسلام القويم ، او تتبـع غير سبيل المؤمنين ، فانه لا عدة في الشدائد كالايمان ، ولا حلية في المحافل كالتقوى ، واعرف الله في الرخـاء يعرفك في الشدة ، وتقرب منه بالأعمال الصالحة ذراعاً ، يتقرب منك توفيقك باعاً، واجعل القرآن المصباح الذي تستضيء به اذا ادلهمت الدياجي ، واشتبهت عليك السبل ، وليكن لك في رسول الله وصالحي الخلفـــاء أسوة حسنة « اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتدِه » .

« يا بني . اوصيك بالمغرب بلدك الكريم ، ووطنك العظيم ، مستقر الجدود والوالد ، ومستودع الطارف والتالد ، خميلتك التي ارتاضت بنسائمهـا رئتاك ، وثملت من محاسنها مقلتاك ، وتغنت بألحانهـــا شفتاك ، فحافظ على استقلاله ، ودافـــع عن وحدته الجغرافية والتاريخية ، ولا تتساهل في شيء من حريته ، ولا تتنازل عن قلامة ظفر من تربته ، واياك وان تقبل المساومـــة على امنه ، وسلامة سكانه، واذا داهمته الاخطار، او تهددته الاعداء، فكن اول المدافعين ، وسر في طليعة المناضلين .... »[2]

---

(١) الاهرام ١٩٦٠/١/١٩ للمحرر السياسي الاستاذ زكريا نيل .
(٢) نشرت الصحف اللبنانية الخطاب كله في ١٩٦٠/١١/١٨ ،

ومابعجيب ان يوصي الملك ولي عهده هذه الوصاة فقد سبقه زين العابدين في دعاء لأولاده ، فقال رضي الله عنه :

« اللهم ومنّ علي ببقاء وُلْدي ، وباصلاحهم لي ، وبامتاعي بهم . إلهي امْدُدْ لي في اعمارهم ، وزد لي في أجالهم، وربّ لي صغيرهم، وقو لي ضعيفهم ، واصلح لي ابدانهم وأديانهم واخلاقهم ، وعافهم في انفسهم ، وفي جوارحهم، وفي كل ما عنيت به من امرهم ، وادرر لي وعلى يدي ارزاقهم ، واجعلهم ابرار اتقياء بصراء ، سامعين مطيعين ، لك ولأوليائك محبين ، مناصحين ، ولجميع اعدائك معاندين ومبغضين آمين ، اللهم اشدد لهم عضدي ، واقم بهم أوَدي ، وكثر بهم عددي ، وزين بهم محضري، واحي بهم ذكري، واكفني بهم في غيبتي، واعنّي بهم على حاجتي واجعلهم لي محبين ، وعلي حدبين مقبلين لي مطيعين غير عاصين ولا عاقين ولا مخالفين ، ولا خاطئين ... الخ [١]

٨ ـ حب الأبناء عندنا وعندهم ..

حب الابناء حق الانسانية ، ودين الاجداد عند الاحفاد، وهو سمة الانبياء، وحلية المتقين . يقول النبي – صلى الله عليه وسلم – « من كن له ثلاث بنات فصبر على لأوائهن – اي شقائهن – وضرائهن – ما يسببنه من هموم ومتاعب – وسرائهن ، ادخله الله الجنة برحمته اياهن . فقال رجل . واثنتان يا رسول الله ؟ قال واثنتان قال رجل يا رسول الله وواحدة ؟ قال وواحدة »[٢] .

وقالت عائشة « دخلت علي امرأة ومعها ابنتان لها تسأل ، فلم تجد عندي شيئاً غير تمرة واحدة ، فأعطيتها اياها ، فقسمتها بين ابنتيها ، ولم تأكل منها شيئاً ، ثم قامت فخرجت ، فدخل النبي (ص) علينا فأخبرته فقال : (من ابتلى من هذه البنات بشيء فأحسن اليهن ، كن له ستراً من النار »[٣] .

---

(١) الصحيفة السجادية للامام علي زين العابدين ص ١٣٣ وما بعدها .
(٢) المنذري ج ٣ ص ٦٨ – ٦٩ .
(٣) ارشاد الساري ج ٣ ص ٢٢ طبعة بولاق .

لقد مضى المجتمع الاسلامي يستلهم هذا التوجيه النبوي ، فكان الفقراء والضعفاء — وما يزالون — يجدون العزاء من شدة العيش ، وضيق الرزق ، في بسمة يفتر بها ثغر ابن ، او كلمة حلوة ينطلق بها لسان بنت ، او امارة نجابة تبدو في تصرف احدهما ، فيذكرنا هذا الحاضر بكلمة الرجل الذي بشروه بمولود — وهو فقير — فقال « ريحانة اشمها ورزقها على الله » !!

يقول الاستاذ احمد الصاوي محمد : « ما هي قلوب هؤلاء الافرنج ؟ هل قدت من صخر ؟ كيف يتجرد قلب الأم — وخاصة الأم — من كل شعور ، ومن كل عاطفة ، ومن كل حنان ؟!

اننا نرى حولنا من قومنا من يعيشون على الفجل والبصل والكراث ، واولادهم عندهم ، قرة اعينهم ، يموتون فداءهم اذا مسهم ضر !!

قدامى وقائع اوروبية من صميم الحياة ، وليست من خيال القصص . سيدة « ليدي » ! من أسرة كبيرة ، تنبذ ابنتها — وعمرها اربع سنوات — وتدعها لمن يتبناها في بلاد بعيدة ! ولماذا ؟ ليس هو الفقر !! فهي غنية ، ولكن الدلال والدلع ، فهي تقول انها لا تحب بنتها ، ولا تشعر نحوها بأية عاطفة ! وعلى ذلك فمن الخير لها وللبنت ، ان يتبناها المحروم من البنوة ومن يتوق لها !!

ولم يعد الامر مقصوراً على هذا اللون من ترف الآباء والامهات الأغنياء ، بل تعداهم الى متوسطي الحال ، فقد اعلنت امرأة تدعى أدناموريس وعمرها ٢٤ سنة ، انها مستعدة لأن تهب طفلها — قبل ان يولد — لمن يطلبه ، فجاءها نحو مائة طلب ، واذا بست سيدات سيصبحن امهات ، يكتبن اليها في يوم واحد ، يطلبن منها عنوانات الراغبين في تبني الاطفال ، لأنهن مثلها ظروفهن المالية ، او ضيق مساكنهن لا يسمح باستقبال المولود الجديد . واحداهن لها ثلاثة اولاد ولا تريد الرابع الذي في الطريق ، والثانية لها ولد واحد ولا تريد رقم ٢ . وهن يؤثرن للتنازل عن اولادهن ، بمجرد الولادة بحيث لا ينظرن مجرد نظرة الى وجوههم،ولا يردن‌ان يعرفن أهوذكر امانثى،حتى لا

يتعلقن به ؟! ومع ذلك فان دخل كل بيت من هذه البيوت لا تقل عن خمسين جنيهاً مصرياً في الشهر ... هذا هو الغرب اه [١]

اجل ... هذا هو الغرب – ايها المفتونون بالغرب – ينظر للاسرة هــذه النظرة ، ويقيم دعائمها على هذه الاسس ، ومهما قيل انها مسألة فردية ، لا تشكل قاعدة عامة ، فسيبقى الاسلام قمة عالية في دعم اركان الاسرة ، لا بـد للناس منه ان ارادوا السلام العام !!

* * *

والاسلام يكره الحب التافه الذي يذيب شخصية الابناء ، ويملأ اعطـافهم بالرفاهية القاتلة ، ويجعلهم كلاً على كواهل الاهل ، ولكنه يؤثر الحب الباني ، الذى يعدُّ لتحمل المسئوليات ..

ويوم جاءت فاطمة تطلب من الرسول – وهي بضعته وام ابنيه – خادماً يعينها على بعض امر بيتها قال : اتقي الله يا فاطمة ، لا اعطيك وأدع اهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع » !.

وفي رواية ابي داود « اتقي الله يا فاطمة ، وادي فريضة ربك ، واعملي عمل اهلك ، فاذا اخذت مضجعك ، فسبي الله ثلاثاً وثلاثـين ، واحمدي ثلاثـاً وثلاثين ، وكبري اربعاً وثلاثين ، فهي خير لك من خادم » قالت « رضيت عن الله وعن رسوله » ..

والرسول الذي كان يحب الحسن والحسين – كما عرفت – هو الذي اخـرج من فيهما تمرتين من تمر الصدقة وقال « كخ كخ ان الصدقة لا تحل لمحمـد ولا لآل محمـد » .

وهو – صلوات الله عليه – يقول « علقوا السوط حيث يراه الاهـل » [٢]

---

(١) الاهرام في ١٩٥٨/٤/٢٦ .
(٢) الجامع الصغير جـ ٢ ص ٥٢ .

ويقول «مروا اولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهـــم في المضاجع »[1] والحكمة في الامر ، والتشويق فيه ، وضرب القدوة من انفسنا باقام الصلاة والمحافظة على ادائها هي امثل الوسائل لاستجابة ابنائنا للامر ، والا ففي العصا مقنع لمن لم تنفعهم الحكمة والموعظة الحسنة ، ولا تثريب على الاسلام في الضرب هنا – وفيما اسلفنا من امر الزوجة ، الا ممن يرون ان تجري الحياة على هواهم « ولو اتبـــع الحق اهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن »[2].

يقول شيخ المعرة :

اضرب وليدك تأديباً على رشد ولا تقل هو طفل غير محتلم
فرب شق برأس جر منفعةً وقس على شق رأس السيف والقلم

فلا يرقي الى مستوى الرحمة بالابناء ، غير القسوة حين لا يكون منها بـــد ، كذلك فعل ابو بكر حين رأى ام المؤمنين عائشة – وهي في بيت رسول الله – في ثوب تجره ، وفعل عمر مع ابنائه وخاصة اهله حين كان يأمر المسلمين بامر ، او ينهاهم عن شر !!

فقسا ليزدجروا ، ومن يك حازماً فليقس احياناً على من يرحـــم !

ومن التدليل الظالم ان نهمل مراقبة ما يقرأ الاولاد ومايعملون ، وتعرُّف من يصحبون ويصادقون « فالمرء على دين خليله » كما يقول المعصوم – صلوات الله عليه – وهو « كالرقعة في ثوبك لا تصلحه الا اذا شابهته » كما يقولون !.

* * *

٩ – البنون على هوى الآباء :

يرث الابناء عن الآباء الأخلاق ، كما يرثون السمات والأشبـــاه « والولد سر

(١) الجامع الصغير جـ ٢ ص ١٣٢ .
(٢) المؤمنون : ٧١ .

ابيه» كما قال الرسول عليه السلام، وللعامة في هذا المعنى امثال سائرة، وماأحوج الذين يرتابون في هذه المسلمات الى علاج ابصارهم وبصائرهم ، فلقد كان زيد ابن حارثة اسود غربيباً – شديد السواد – وكان اسامة بن زيد ابيض مقمراً ، وطاب للذين يتفكهون باعراض الناس ، ان يطعنوا في بنوة اسامة ، وآلمت اقوالهم النبي ، ولكن الله يمحو الباطل بالحق ، كما يبدد ضياءُ الصبح سجف الظلام ، فبينما كان زيد واسامة يغطان في نوم حالم ، مَرَّ بهما مجزز المدلجي – وهو عراف مشهور – فطفق يقلب ارجلهم ويتفرسها ثم قال « ان هذه الارجل بعضها اشبه ببعض من النجم بالنجم » [1] وقرت بهذا القول عينا رسول الله !!

والوالدان هم المثل الاعلى لابنائهم « قد يمنحان طفلها معبداً طبيعياً ليعيش فيه ، او قد يهبانه – مباءة – لا تصلح مكاناً لنفس خالدة » [1] ومن المنزل تكون الخطوة الاول الى المجتمع ، وما اشد ظلم الذين يكلفون ابناءهم طلب الرزق في مرحلة الاعداد والتوجيه ، لان تكليفهم مدرجة الى ترديهم فيما ينبغي ان يصانوا عنه ، وفي الحديث « لا تكلفوا الاطفال الكسب فانكم ان كلفتموهم الكسب سرقوا » .

اجل .. سرقوا واندفعوا في ضروب من التصرفات ، تصغر الى جوارها السرقة !.

والتوجيهات الدينية منذ بكرة الصبا، امنع سياج لجيلنا الصاعد من زحوف الفوضى الخلقية التي يُجلب بها علينا الاعداء في افلام تستهوي وتفسد، ومجلات فيها تلون الحرباء ، وعادات سيئة تنتقل عدواها في غير ابطاء الى البنات والابناء، والذين لا يجدون منا هذه الرعاية ، هم اليتامى الذين عناهم شوقي بك بقوله :

---

(١) نيل الاوطار ج ٦ ص ٢٨٢ .

(١) أ – كريسي موريسون « العلم يدعو للايمان ص ١٤٤ .

ليس اليتيم من انتهى ابواه من	هذي الحياة وخلفاه ذليلا
ان اليتيم هو الذي تلقى له	اماً تخلت ، او اباً مشغولا !

١٠ - سوّوا بين اولادكم :

والاسلام - كيلا تتكرر قصة يوسف واخوته - يوجب ان نسوي بين « اولادنا » حتى في القُبَلْ » .

عن النعمان بن بشير ان اباه اتى به النبي (ص) فقال : اني نحلت ابني هذا غلاماً كان لي وقالت امه اشهد على ذلك رسول الله . فقال صلوات الله عليه . أكُل ولدك نحلته مثل هذا ؟ فقال لا ، فقال اشهد على هذا غيري فاني لا اشهد على جور » [١]

ومن هذه الرواية للحديث اخذ الفقهاء - في شرح مسلم وغيره - جواز تفضيل الولد الفاضل الكسوب على غيره تشجيعاً له وحفزا على التمثُل به !!

ولقد كان العرب قبل الاسلام يقتلون اولادهم خشية إملاق حتى قال الله في كتابه « نحن نرزقهم واياكم » [٢] « ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم » [٣] وكانوا يئدون البنات خوف العار حتى انحى الله باللائمة عليهم فقال « ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هُون ام يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون » [٤] وقال للذين يضيقون ذرعاً بالانثى ، وتتهلل اساريرهم بمولد اخيها « آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعاً » [٥] ولله الحكمة البالغة حين جعل ذرية رسوله من ابناء ابنته فاطمة ..

---

(١) متفق عليه وفي رياض الصالحين ص ٥٧٤ .
(٢) الاسراء : ٣١ .
(٣) الانعام : ١٥١ .
(٤) النحل : ٥٧-٥٩ .
(٥) النساء : ١١ .

وكان لمعن بن اوس ثمان بنات . ويقول – ما احب ان لي بهن رجـــال – وفيهن يقول :

رأيت رجالاً يكرهون بناتهم وفيهن لا تُكْـذَبُ نساء صوالح
وفيهن – والايام يعثرن بالفتى عوائد لا يمللنه ونوائح !! [1]

ولقد مضت الاجيال وفيها بقية من مواريث الجاهلية في الضيق بالانثى ، حتى ليروى ان رجلا اسمه ابو حمزة ولدت له زوجته عدداً من الاناث ، فلمـــا حملت مرة اخرى تهددها بالفراق ان ولدت بنتاً ، ووضعت انثى ، ونفذ الرجل وعيده ، فكان يغدو ويروح على بيتٍ آخر ، وسمع زوجته يوماً تنشد لصغيرتها:

ما لأبي حمزة لا يأتينـا .. يبيت في البيت الذي يلينـا
غضبان ان لا نلد البنينـــا تالله ما ذلك في ايدينــــا
فنحن كالأرض لزارعينـــا ننبت ما قد غرسوه فينا !

فأثر هذا القول فيه ، وعاد يستصفي زوجته وهو يقول : تالله مــا ذلك في ايدينا – حتى وهب الكريم ما يحبون !!

* * *

١١ – حق الانثى في العلم :

حق الانثى في التعلم كفله الاسلام حين كفله للذكر ، فهي داخـلة في عموم قوله تعالى « قوا انفسكم واهليكم ناراً » وقول النبي عليه السلام « طلب العـــلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » وقوله « الزموا اولادكم واحسنوا ادبهم » .

ولقد كانت امهات المؤمنين مبلغات عن رسول الله ، ومعلمات للرجـــال ، يسألونهن ما لا يجدون عند الرجال « واذكرن مــا يتلى في بيوتكن من آيات الله

(١) الامالي للقالي جـ ٥ ص ١٠٣–١٠٥ .

والحكمة ... »[1]

وليس خبر نساء الاسلام في عصوره المختلفة ، ودورهن في اداء رسالة العلم في جوانبه الكثيرة – فقهاً وطباً وادباً – بخاف على احـــد ، نضر الله ذكرى هؤلاء وهدى الى الاقتداء بهن شقائق الرجال !

ومن الفقهاء من يوجب على المرأة التي لم يعلمها زوجها امور دينهـا ان تخرج لتعلمه ! وبقدر هشاشتنا للفرص التي تتاح اليوم لتعليم الفتاة نهيب بالمسئولين في شتى اقطارنا ان يجعلوا للتربية الدينية مكانها المرموق بين مناهج الدراسة ، ووقتها الكبير الذي يناسبها وان يؤكدوا للفتيان والفتيات في المراحل الكبرى ان نجاحهم مقيـد بالجد في التربية الدينية ، التي يقترن فيهـا القول والعمل ، فلا تكون شـكلية ولا قشوراً يزجى بها الفراغ ولا شيء وراء ذلك !!

يقول الاستاذ الشيخ شلتوت « وجوب تضمين مناهج التعليم العام عامـل الدين » .

واذ قد تبين ان طبيعة الانسان وموقف المبادىء الصحيحة من قواه المختلفة يقضيان بالاعتماد على العنصر الديني كأساس اول في التهذيب والتربية كان من الواجب الحتم على رجال التربية والاشراف على التوجيـه الانساني ان يضمنوا التعليم العام عامل الدين كعنصر اول في تهذيب الفرد واعداده لان يكون مواطنا صالحاً لنفسه ولجماعته ، وكان خلو المناهج التعليمية اياً كانت صيغتها من هذا العنصر انحرافاً بالتعليم عن ان يكون وسيلة للتهذيب ، الى ان يكون وسيلة لكسب المعرفة التي لا اثر لها في الانسان سوى القضاء على الجهـالة ، وكانت المدرسة التي يخلو منهاجها من الدين مدرسة لا تسوق التعليم وفق طبيعة الانسان ، وانما تكوّن انساناً لا يزيد كثيراً في معناه عن هذا الانسان الآلي الذي احدثته المدنية الحاضرة !! وقد دلتنا مشاهداتنا ان هذه المعرفة او هذه المدرسة لم يجز

---

(١) الاحزاب : ٢٤ .

العالم منها الا الشقاء والدمار ، وان العلم وحده صار اداة للتخريب والطغيان اكثر من ان يكون اداة للتعمير والعدل، وبهذا انقلبت الحياة جحيماً لايحتمل!!

ثم قال « واذا كان من الواجب ان يتخذ الدين مادة اولى لاعداد الانسان فليس ذلك الانسان هو الطالب في مرحلة معينة فقط ، وانما هو الطالب في أية مرحلة من مراحل التعليم ، بل هو ذلكم المواطن الذي تتكون منه الجماعة - أينما وجد والى أية طبقة انتسب وفي أي مكان كان واذن فالمدرسة التي يجب ان نطبق فيها هذا المنهج القويم هي العالم كله، في لغاته المختلفة ، واجناسه المتباينة وأقطاره المتباعدة » .

ثم قال « وانا لن نظفر بهذا الروح الديني الخالص حتى يكون قد دخل في اعداده ...

اولاً : فهم الدين فهماً صحيحاً ، أخذاً من مصادره الاولى ، دون الالتجاء الى التقيد برأي فرقة خاصة ، او مذهب معين ..

ثانياً : الوقوف على العقليات الحاضرة للجماعات ، والالمام بنفسية الطبقات والفروق الفردية بين الذكر والانثى والصغير والكبير ...

ثالثاً : اتقان وسيلة التفاهم ، وطرق التأثير على القلوب النادّة ...

رابعاً : وهو الاول في الاعتبار - تعهده باخذ نفسه وقلبه على مقتضى الروح الديني الصحيح .

ويوم نظفر بهذا الدين الخالص ، نستطيع ان نَغْزُوَ به كل ناحية من نواحي الامة حتى تشع في الشعب كله الروح العالية وتصير الامة كلها مطبوعة بطابعه، داعية الى الخير باقوالها وافعالها واخلاقها ونظمها في الحياة [1]

***

لكن كثرة كاثرة من فتياننا وفتياتنا ورجالنا يسوغ عندهم كل كلام ، الا

---

(١) من توجيهات الاسلام ص ١٤٩ - ١٥١ .

حديث الشرف والعفاف ، والتذكير بالله وهداه – وهو وحده – طوق النجاة من ضنك العيش وسوء المصير . قال تعالى « فمن اتبع هداي فلا يضل ولايشقى ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ... » الآيات طه ١٢٣-١٢٧ وما الدين الا رحمة من الله تتدارك من يخشونه اذا زلّت منهم في الشهوات قدم ، او زاغ امام الفتن منهم قلب .. وما كان الدين الا شكائم من اهواء يخبو بها العقل كما يخبو الشماع ويهون العرض كأنه سقط المتاع ، ونمضي بها في لجج الحياة وكأننا الفلك التي لا يعصمها في العاصفة مجداف ولا شراع .

سكران سكر هوى وسكر مدامة ومتى إفَاقةُ من به سكران ؟!

الدين يميز الخبيث من الطيب ويفصل الحلال والحرام ، ويأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ويدع للعقول المبصرة والافكار النيّرة اموراً نُعمِل فيها الرأي جهدنا ، ولا ننتظر فيها بينة من ربنا – يقول النبي ﷺ « ان الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحد حدوداً فلا تعتدوها ، وحرم اشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن اشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها » !!

أليس من العار ان تجهل فتياتنا الاسلام – وقد ضربن بسهم وافر في جوانب من المعرفة – ويجهله كذلك فتيان ، في الوقت الذي تتوافد فيه على الازهر – الساهر على تراث الاسلام واقداس لغة القرآن ، ومعقد آمال المسلمين والعرب في ذلك – تتوافد على الازهر الشريف من سويسرة والمانيا امثال « دوسترنك » السويسرية التي كانت تعمل في أحد مصانع الأدوية بزيوريخ ودرست الاسلام في الكتب الالمانية ، وقررت اعتناق هذا الدين ؟!!

« سألها شيخ الازهر ما الذي اعجبها في الاسلام ؟!

فردت : وضوح تعاليمه التي في مثل وضوح البللور ، وتطوره ، واسلوبه في الحياة » .

« وقال شيخ الازهر لمرافقتها المفتشة بوزارة التربية .. حاولي ان تعلميها

بقدر الامكان ، ان تغطي شعرها وتصلي !!

وذلك لا يكون بالكلام ، بل بطريقة عملية بان تصلي امامها !! » [١]

* * *

والاسلام احنى صدراً ، وأرفق بالمرأة من هذا الذي رأى فتـــاة تتعلم القراءة والكتابة فقال : افعَى تُسقَـى سماً !. وهو يمضي على طبيعته في تكريم المرأة ، وتعليمها اكثر بكثير من الغزل والنسج والردن [٢] كما قال ابو العلاء ! ووجوه العلم النافع مفتحة الابواب لكل طالب .

يقول الاستاذ البهي الخولي « اذا كانت الظروف تدعونا الى ان يكون من الفتيات طبيبات او مدرسات ، فلا بأس بذلك ، لأنا نستحسن ان يكون الطبيب الذي يعالج المرأة امرأة مثلها ، والمدرس الذي يعلمهـا امرأة ايضاً ، اما تعلم الحقوق والكيميا والهندسة فضرب من الترف لا يكون الا على حساب المهمة الاصيلة التي اعدت لها الفتاة » .

« ان شيئاً من هذه العلوم ليس محرماً على البنت في الاسلام ، ولكن المصلحة قطعاً في ان تدرس غيره مما يعود عليها بالمنفعة في مهمتها الاصيلة ، والمصلحـــة المشروعة قانون من قوانين الاسلام ، يحل ما تحلها ، ويحرم مـــا تحرمها ، فاذا بلغنا من عمق الادراك ما نفقه به اهداف الطبيعة العميقة ، استبان لنـا صدق هذه التقريرات ، والا فسنظل مربوطين بعجلة التقليد السطحي ، حتى تغـير أوربا ما بها فنغير ما بانفسنا ، وهذا ما لا نريده لامتنا بحال من الاحوال » [٣]

وبعد .. فما اشد حاجة الفتاة في دور العـلم الى الاحتشام ، والى الانفراد عن الشباب فقد بَلونا من الاختلاط ما أرجيء الحديث فيه لغير هذا الكتاب !

---

(١) من كلمة لمحررة « مع المرأة » الاهرام ١٩٦٠/١١/١٦.

(٢) ردن الاشياء : نضدها — وردنت المرأة : غزلت : من المنجد .

(٣) المرأة بين البيت والمجتمع للاستاذ البهي الخولي ص ١٠١ وما بعدها .

التبني في الأسرة

١ – يثور جدل طويل حيناً بعد حين حول التبني ويريد الذين يدعون اليه تحت عنوان « حائرة تبتغي وجه الله » وباسم « العواطف الانسانية » ان يجعلوه شرعاً يُرعَى وسنة تتبع ، والاسلام يرفض هذا الأمر ويأباه، لأنه يجافي قواعده الأصيلة ، فلقد شرع الزواج فيه لحفظ الانساب وحماية الاسر من الاختلاط ، والتبني يلحق نسب اناس بغير آبائهم وذلك يخالف الحكمة في مشروعية الزواج !

٢ – ولقد واجه الاسلام التبني فيما واجه من امور الجاهلية ، وأدرك الناس وهم ينزلون الابن المتبنى منزلة ابنائهم ، يرثهم ويرثونه ، ويحرم عليهم ان يتزوجوا نساءهم من بعدهم كحرمة نساء ابنائهم عليهم ، وتبنّى الرسول زيد بن حارثة وأضفى عليه ابوته في يوم ماجدٍ كان نهاية ، ثمانية اعوام حيل بين زيد فيها وبين قومه ، اذ ضل عن امه في بعض اسفارها فاستُرِقّ ، واشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد ووهبته للرسول بعد زواجه منها واعتقه صلوات الله عليه وصار مولاه ! وجاء ابو زيد وعمه الى الرسول فعرضا عليه فداء ابنهما فقال لهما : هل لكما في خيرٍ من هذا ؟ ادعوه وخيروه ، فان اختاركم فهو لكم ، وان اختارني فوالله ما انا بالذي اختار على من اختارني ابداً ! فقالا : قد زدتنا على النَّصَفِ وأحسنت ، فدعاه الرسول ، فعرف اباه وعمه وخيّره بين ان

يذهب معها او يبقى في صحبته . فقال زيد : ما اريدهما ، وما انا بالذي أختار عليك احداً ، انت مكان الأب والعم . فقالا له : ويحك ، أتختار العبودية على الحرية وعلى ابيك وأهل بيتك ؟ قال زيد . نعم ، مـــا رأيت من هذا الرجل شيئاً ، ما انا بالذي أختَارُ عليه احداً ابداً .. هنالك اخرجه الرسول الى حجر اسماعيل واشهد من حضر .. « ان زيداً ابني يرثني وارثه » فلما رأى ابوه وعمه ذلك طابت نفساهما وانصرفا الى قومهما مطمئنين !! وُدعي زيد منذ هذا اليوم زيد بن محمد حتى ابطل الله هذا التبني بقوله :

« وما جعل ادعياءكم ابناءكم ذلكم قولكم بافواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل أدعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله فــان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم ، وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفوراً رحيماً »[1] .

فدُعِيَ زيدُبن محمد زيدَ بن حارثة ، ولئن ُحرِم شرف النسب لقد كان ُيدعَى حِبّ رسول الله وكان اسامة من بعده « الحِبّ بن الحِبّ » !

وضرب الله برسوله المثل في ابطـــال حرمة تزوج الرجل زوجة متبنّاه ، وكان زيد زوج زينب بنت جحش بنت عمة رسول الله،تزوجته على رغمها،ورغم اخيها بعد ان نزل قول الله « ومـــا كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امراً ان يكون لهم الخيرة من امرهم ... الآية »[2] .

فكانت تدل بحسب ، وتستطيل بنسب، وتتعالى ببزة اللون والحسن، وفزع زيد الى الرسول يستأمره في فراقها وكان رسول الله قد أوحيَ اليه انه سيتزوجها من بعده ولكنه يخشى ان يتخذ المرجفون به هذا الزواج موضوعاً لاتهـامه بانه أوقع بين الزوجين – وحاشاهـاو انه استحل الحرام حين تزوج امرأة متبناه – فكان يقول لزيد : « امسك عليك زوجك واتقي الله » حتى نزل قوله تعـالى :

---

(١) الاحزاب ٤ – ٥ .
(٢) الاحزاب ٣٦ .

« واذْ تقول للذي انعم الله عليه – بالاسلام – وأنعمت عليه – بالعتق والتبني– امسك عليك زوجك واتقي الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطراً وكان امر الله مفعولاً » « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ... »[1].

٣ – بهذا القول البيّن حرم الاسلام التبني وما كان يترتب عليه في الجاهلية، وشرع لمثل « حائرة تبتغي وجه الله بتبنى ولدٍ تحله قلبه وتحنو عليه جهدها وتغمره بعاطفة الامومة وتعده لمستقبل كريم لا يؤلم قلبه فيه ما يعلمه من حقيقة انه مجهول الأب » ان تملأ هذه المرأة فراغ نفسها بتربية من شاءت ، وان تروي شجرة الامومة فيها بالاحسان والرعاية للقيط او اكثر، ولكن في حدود الاسلام «فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم» ، واني لأعرف رجالاً في بعض البلدان العربية تبنوا بنات وملكوهن اموالهم وخالفوا الشرع في حرمان الأشقاء وذوي الحقوق منها ، فلما كبر هؤلاء جفون من تبناهن ، واستمعن الى حديث من صارحهن بأنهن متبنيات لا بنات !!

٤ – الرسول ينكره على فاعليه ..

والرسول يعظم النكير على من انتسب الى غير ابيه او تولى غير مواليه ، فأخبر انه « لم يُرَحْ رائحة الجنة »[2] لما في ذلك من اختلاط الانساب الذي يفضي الى شر كبير ..

« فان من نسب نفسه الى غير ما عرف به فقد قذف امه فيحَدُّ ، ومن نسب ولداً لغير ابيه تصريحاً او تلويحاً فانه يُحَدُّ »[3] .

---

(١) الاحزاب ٣٧ – ٣٨ – ٤٠ .
(٢) الترغيب والترهيب ج ٣ – ٧٤/٧٣ .
(٣) المقارنات التشريعية ج ١ ص ٢٥٠ .

وجاهلية انصار التبني ليست من الجاهلية الاولى فحسب ، ولكنها تقليد وترديد لما يشيع هنا وهناك من افكار لا يقرهـــا الاسلام ، واين من منطق الاسلام في رفض التبني حجج القانون الفرنسي والقانون الروماني في اباحته وشرعيته.

فالقانون الفرنسي يرى التبني وصفاً خاصاً لِغَرَض تكوين عائلة، والحصول على متعة التبني التقليدية ممن لا ولد له ، ولا ينتظر ان يكون له ولد ..

وهو في هذا القانون اقسام ثلاثة :

١ – تبنٍّ عادي   ٢ – تبنٍّ جزائي   ٣ – تبنٍّ في الوصية .

ووضع القانون الفرنسي شروطاً في التبني بعضها يتصل بالمتبنّى كبلوغه ، وعدم تبني آخر له ، ورضي والديه ان لم يكن ولد زنى !!

وبعضها في المتبنّي كان يكون قد تجاوز عمره الخمسين سنه ، وان يزيد على المتبني خمسة عشر عاماً ، وان ترضى به زوجته ان كان متزوجاً ، وان يكون حسن السمعة ، وان لا تقل مدة تبني الطفل عن ست سنوات .

القانون الروماني والتبني ..

يهتم به كالقانون الفرنسي ويشترط في طرَفيْهِ شروطاً مثله ، ويدخل المتبني ضمن عائلة المتبني ، ويحرمه من ميراث اهله بالولادة .

ولا يشترط القانون الفرنسي في التبني الجزائي شروط السن وفرق السن في التبني الدائم بل يجوز فيه ان يكون الشخص الذي يكافـــأ على معروف اسداه للمتبني اصغر سناً او مقارباً لسن المتبني ويشترط في تبني الوصية الذي يوصي به شخص في وصيته لصالح قاصر خوفاً من موته والولد قاصر لم يبلغ حد الرجولة، وشروطه هي شروط التبني الدائم الا انه يخالفه في :

١ – ان يكون المتبني قاصراً

٢ – لا يلزم الحصول على رضى الزوج الآخر ..

ونتائج هذا التبني بأقسامه الثلاثه :

اولا : يعطى الولد المتبنّى الحق في حمل اسم المتبنّي ، واضافته الى اسمه ، فيتناقله ابناؤه بعده ..

ثانياً : لا زواج بين المتبنى والمتبني ، ولا بين المتبني واولاد وزوجة المتبنى ، ولا بين المتبنى واولاد زوجة المتبني ، وان كانوا ابناء تبن ..

ثالثاً : توجد حالة تبادل واجب المساعدة بينهما حين يفتقر احدهما ..

رابعاً : للمتبني الحق في ميراث من تبناه كالولد الشرعي تماماً .

خامساً : للمتبني حق الرجوع الشرعي على ورثة المتبني اذ ورثه اولاده اذا مات وترك ما اعطاه له من تبناه ما دام موجوداً بعينه ..

ولا تتعدى هذه الحقوق شخص المتبني والمتبني ، وليس لأحدهما قبل الآخر حق خلاف ذلك ، خصوصاً في حقوق الابوة الطبيعية والاذن في الزواج فتبقى للأب الطبيعي[1] .

أجل .. اين هذا كله من منطق الاسلام وصيانته للأنساب وهو يرفض التبنى ويأباه ويفتح ابواباً كريمة وضيئه لمثل التبني الجزائي وتبني الوصية ، تشهد بحكمة الخلاق العظيم ورحمته ؟!

● – اللقيط ..

عرفته كتب الفقه بانه انسان حي وجد في طريق الناس بعد ان طرحه من خاف الفقر او فر من التهمة ، وأوجبوا على من وجده ان يأخذه إحياءً لنفسٍ مظلومة لا ذنب لها تُطرح به هكذا .. ومن يدري فربما كان هذا الانسان – من بعد – ذا شأن ، والله يغري بانقاذ مثله فيقول « ومن احياها فكأنما احيا الناس

(١) المقارنات التشريعية ج ١ ص ٢٤٨ – ٢٥٢ .

جميعاً » [1] .

فاذا ادّعى مسلم نسب اللقيط وهو يعتقد انه ليس ابن غيره ثبت نسبه منه ولزمه كل ما يلزم للابن ، فاذا لم يدّع نسبه أحد ، فهو في يد الملتقط له ولايته وعليه تربيته. حتى يستغني بنفسه ولا يكون عبئاً على غيره في مستقبل حياته ، ونفقته في ذلك على بيت المال ، وآيات القرآن في الاحسان العام على اليتامى والفقراء والمساكين تتسع لِلّقيط قبل سواه...

وتوجب على المسلمين بره والإقساط اليه اذا ضاق به « بيت المال » .

٦ – التلقيح الصناعي :

اقرأ الآن في صحف لبنان خبر هذا الايطالي الذي يحاول ايجادَ ولدٍ عن طريق التلقيح الصناعي – فيردني النبأ الى ذلك السؤال الذي يتكرر دائماً عن حكم الله في هذا الولد ان وجد عن طريق ماء رجل وامرأة – زوج وزوجة – او عن طريق غير زوجين ؟!

وهو في الحالة الثانية زناً قولاً واحداً !!

اما في الحالة الاولى . فيقول الشيخ شلتوت في كتابه « الفتاوي » :

« انه اذا كان بماء الرجل لزوجه كان تصرفاً واقعاً في دائرة القانون والشرائع التي تخضع لحكمها المجتمعات الانسانية الفاضلة ، وكان عملاً مشروعاً لا إثم فيه ولا حرج وهو بعد هذا قد يكون في هذه الحالة سبيلاً للحصول على ولد شرعي يذكر به والداه ، وبه تمتد حياتهما وتكمل سعادتهما النفسية والاجتماعية ويطمئنان على دوام العشرة وبقاء المودة بينهما » [2]

---

(١) المائدة ٣٢ .
(٢) الفتاوي ١٩٧–٣٠١ .

التربية الجنسية

١ – على طريقة الاسلام !

الكتب الجنسية تزحم المطابع ، وتشغل حيزاً كبيراً في واجهات المكاتب ، كانت تحتله – الى قريب – ذخيرة صالحة من المؤلفات الدينية والتاريخية ، والتوجيهية ، ويتلقف المراهقون هذه الكتب بما تستهويهم به من كلام مكشوف عن بعض اجهزة الجسم ، ومن صور تصرخ على اغلفتها وفي طواياها بالإثم ، ولا شك ان هذا اللون من الكتب سهل مربح للمؤلف والناشر اذا استباح الانسان الربح من اي طريق ..

والناس يختلفون في التربية الجنسية وتدريسها للشباب ، فمنهم من يدعو اليها على تلك الصورة العارية المتداولة الآن بدون تحفظ ، ويصطنعون فيها مثل قول بعضهم « ومشيتها التي يتقاذف بها جسمها ذات اليمين وذات الشمال كأن في وسطها هرتين تتعاركان داخل كيس » [١]

ومنهم من يتورع عنها ويراها نمطاً من سوء الادب ، ينبغي ان يتقي ويحذر ! وكلا الرأيين لا يستحق المناقشة !. ومنهم من يراها ضرورية قبل ان يتعلمها الاولاد من الشارع واصدقاء السوء ، ولكن على طريقة الاسلام ، وبعد ان

---

(١) مجلة الاسبوع العربي اللبنانية عدد ٧٢ في ٢٤ تشرين الاول ١٩٦٠ .

نحصن ناشئتنا بالايمان بالله ، وننمي فيهم الوازع الديني ، حتى لا تتسرب اليهم شرور هذه الثقافة والقلب فارغ ، فتطمس فيهم فطرة الله ، ونور خشيته !

فالتربية الجنسية حاجة ماسة ، بعد ما علمنا من آثار الجهل بهـا في اوساط الشباب من الجنسين ، وبين بعض الازواج الذين يواجهون الحياة الزوجية بدون هذه الثقافة التي تكمل التربية العامة التي تتفاوت بها درجات الناس !

واين لغو الحديث الذي يزخرفـه المؤلفون ، واين الدعوات الجنسية التي تصم انباؤها الآذان في مدارس السويد وغيرها ! من ادب الاسلام في هـذا الجانب ؟!

ان القرآن الكريم يقرر العاطفة الشريفة التي تشد كلاً من الرجـل والمرأة الى اخيه بعد ان جمعها الله على كتابه وسنة رسوله فكلاهمـا زوج « خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها » وجعل من غايات هذا الزواج ما عبر عنه بقوله « ليسكن اليها » [1] يقول الاستاذ البهي الخولي بعـد ان قرر « غريزة الزوج » وبين انها ادق في معناها ومبناهـا من تعبير « غريزة الوالدية » او « الغريزة الجنسية » .

« فهناك حنين ازلي ونزوع فطري ، يتجاذب به « ازواج » النوع الواحـد بعضها الى بعض ، فلا يسعد شوق احدهما الى الآخر ولا يسكن قلقه ، ويكمل امره ، ويخرج ثمره ، الا أن يلتقيا على السنة التي قررها الله سبحـانه لافراد نوعها ، وهل السالب والموجب في الكهرباء الا زوجان ينزع كل منهما الى الآخر ، ويرنو الى الاتصال به ، فاذا لم يتصل به فهو كساد وعطل من خلية الثمر والعمل اما اذا اتصلا ، فما شئت من نار ونور وحركة وقوة وخير !

وقد خلق الله حواء لآدم ، وما كان سبحانه ليخلقها له ، الا لأن خلقهـا تكملة لنظام وجوده ، وسداداً لفراغ اصيل في جبلته - طبيعته - او لتكون

---

(١) الاعراف : ١٨٩ .

هي الطرف الآخر الذي يكمل به نسقه المعنوي ، ونسقه الحسي جميعاً » [1]

انه كلام يقرر حقيقة في عفة وطهر لا مجال فيها لاستثارة حسية او معنوية، واين من هذا ما قرأت في جريدة بيروتية تحت رسم ثلاث بنات مراهقات ؟! قالت سألت بنت عمرها ١٨ عاماً اخاها وهو في الخامسة عشرة من عمره – قل لي يا – بماذا تتحدثون اذا خلوت مع زملائك ؟! واجابها اخوها على الفور ... في نفس الكلام الذي تتحدثين الى زميلاتك ويتحدثن اليك به – فتضرج وجه الفتاة بحمرة الخجل ، وقالت : الله يلعنك . اليس عندكم الا هذا الكلام الفارغ ؟! والله لأقول لماما !! [2]

هذا هو اسلوب الكتابة في صفحات تفردها الجرائد في هذه الايام « للمرأة» ولكم يسرنا ان يكون للمرأة صفحات على ان تزخر بصالح التوجيهات لا بامثال ما تزخر به من تفاهات وترهات !!

٢ – القرآن يرسم المنهج الرشيد ..

أ – حين وسوس الشيطان لآدم وحواء ، ليبدي لهما ما يحرص العقلاء على ستره من انفسهم – وهو العورة – كنى الله عنها بألطف عبارة ، فقال « فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما » [3]

ولا ريب ان عورة الانسان مما يسوءه ان ينظر اليها الناس ، ومن ذلك كانت تسميتها ، ومن اجل هذا بادرا فور انكشافها الى رد الابصار عنها . قال تعالى « وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة » [4]

فهل وجدت لفظاً منكراً ، او اشارة تحمر لها بعض الوجوه ؟!

---

(١) كتاب آدم : ١٥٧–١٥٨ .
(٢) جريدة صباحية في ١٩٦١/١/١٦ .
(٣) الاعراف : ٢٢ .
(٤) الاعراف : ٢٢ .

ب – قال تعالى « .. فلما تغشاها حملت حملاً خفيفاً فمرت به فلما اثقلت دعوا الله ربها ... »[1] والغشاء غطاء الشيء من اعلاه ، وفي التغشية تكلف الجهد والمشقة ، عبر بذلك عن اللحظة التي يكون فيها الرجل من زوجته كالغطاء لها ، وعبر عن كبر الجنين في بطنها بقوله « فلما اثقلت » وكأن القرآن الكريم يهيب بنا ان نرتفع في احاديثنا ومعارفتنا الى مستوى يغني فيه التلميح عن التصريح ..

جـ – قال تعالى يصف الزوجات المطيعات « فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله »[2] فاجمل سبحانه التعبير عما يستحيا من اظهاره من امور الزوجية بلفظ « الغيب » قال السيد رشيد رضا في تفسير الآية « وهذا التعبير وسوابقه ، ابلغ ما في القرآن من دقائق كنايات النزاهة ، تقرأها الخُرّدُ الغيد جهراً ، ويفهمن ما توحي اليه مما يكون سراً ، دون ان يجرح شعورهن خجل او حياء ، وفي ذكر لفظ « بما حفظ الله » بعد لفظ « الغيب » انتقال سريع بالذهن ، حتى لا يذهب بعيداً مع وساوس الشيطان » .

د – قال تعالى « واهجروهن في المضاجع » كيف كنى الله بهذا الامر عن ترك الجماع ؟..

هـ – وتأمل الكلام المطوي في قصة زليخا ، حيث يقول تعالى « وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك »[3] وكيف تكررت مادة المراودة دون ان يفتح القرآن بكلمة اخرى باب فتنة من هذه الابواب التي يطل منها جهرة الكتاب الجنسيين على رقاق الايمان بما لا يليق ؟.

و – والقرآن يعلن الظروف التي يحرم فيها الوصال بين الزوجين، والظروف التي يحل فيها فيقول « ويسألونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء في

---

(١) الاعراف : ١٨٩ .

(٢) النساء : ٣٤ .

(٣) يوسف : ٢٣ وما بعدها .

الحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فأتوهن من حيث امركم الله ان الله يحب التوابـين ويحب المتطهرين نساؤكم حرث لـكم فأتوا حرثكم انى شئتم وقدموا لأنفسكم »[1] وكم في هذه الآيات من كنايات تنضح بالطهر والفضيلة ؟!

ويشرح ابن القيم معني الاذى في الآية فيقول « ان جمـاع الحائض حرام طبعاً وشرعاً ، فهو مضر جداً ، والاطباء قاطبة تحذر منه » في فصل نافـع يرجع اليه من شاءفي زاد المعاد جـ (٣) .

ز —ويذكر القرآنعدة المطلقة، والمدةالتي يحل لهاالزواج بعدها بغيرمطلقها ان لم يراجعها مطلقها ، فيوجب عليها ان تـكف رغبتها في الزواج، وان تصون سمعتها حتى تنقضي عدتها ، فيرمز الى ذلك ولا يفيض في القول « والمطلقات يتربصن بانفسن ثلاثة قروء[2] — أطهار — ، ولولا قيد « بانفسهن » ما ادت كلمة « يتربصن» المراد القرآني الجليل ..

* * *

٣ — منهج السُّنـّة في ذلك :

مدح الرسول نساء الانصار فقال « نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء ان يتفقهن في الدين »[3] فهل كان منهجهن في الفقه والمعرفة على غرار ما يشيـع في الصحف والمجـلات وعلى ألسنة بعض الذين يجيبون على اسئـلة القراء والذين يحلون مشكلات الاسر ، واللواتي نواجههن في المجتمعات المختلطة ؟!

أ — عن عائشة رضي الله عنها ان امرأة من الانصار سألت النبي صلوات الله عليه ، عن غسلها من الحيض ، فقال خذي فرصة من مسك — اي قطعـــة من

(١) البقرة : ٢٤٣ وما بعدها .
(٢) البقرة : ٢٢٨ .
(٣) الجامع الصغير جـ ٢ .

مسك – فتطهري بهـــا . قالت كيف اتطهر بها ؟ قال سبحـــان الله . تطهري بها ، فاجتذبتها الي فقلت : تَتَبَّعي بها اثر الدم »[1].

ب – وعن ام سلمـة ان ام سليم قالت : يا رسول الله ان الله لا يستحي من الحق ، فهل على المرأة الغسل اذا هي احتلمت ؟! قال نعم اذا رأت الماء – اي المنى – فقالت ام سلمة ، وتحتلم المرأة ؟! قال. تربت يداك فبما يشبهها ولدها[2] اي فكيف يشبهها ولدها اذا لم تنزل ؟!

جـ – وعن حزام بن حكيم عن عمه انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يحل لي من امرأتي وهي حائض ؟! قال .. لك ما فوق الازار »[3]

د – وتقول ام المؤمنين عائشة «ما رأيت منه ولا رأىمني » تريد العورة[4]

هـ – وتقول « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد حياء من العـذراء في خدرها »[5] اجل ذلك رسول الله الذي ادبه مولاه وللمؤمنين به اسوة حسنة، فأين من فتيات ـ في دور العلم ، ومجال العمل ، واسواق الناس ، والمركبـــات العامة–حياء العذارى؟!ان لهن لكلاماً يخزي الانسان سماعه وكأن قائلته لم تقل ما تلام به !! فهل رأيت فيما قال النساء للرسول وقال لهن غير القول الكريم؟!

* * *

ولقد اوجب الرسول اموراً هي دعائم للاسرة ، وهي في الوقت نفسه ادب كريم يجهله الناس ، وفيه منهاج راشد للذين يتناولون مسائل الجنس ان ارادوا الاصلاح صادقين ...

---

(١) الشوكاني جـ ١ ص ٢٤٩ .
(٢) الشوكاني جـ ١ ص ٢١٩ .
(٣) المصدر السابق ص ٢٧٧ .
(٤) كشف الغمة جـ ٢ ص ٧٧ .
(٥) الجامع الصغير جـ ٢ ص ٨٤ .

١ – فمن ذلك : انه اوجب ملاعبة الرجل امرأته قبل إتيانها، فذلك يهيئها ليكون امناؤها معه ، وهو حق من حقوقهايثمر لها الاعفاف والسكن وكذلك كان يفعل الرسول – يقول جابر بن عبد الله نهي الرسول (ص) عن المواقعة قبل الملاعبة » زاد المعاد جـ ٣ ص ١٤٧ طبعة صبيح . وما اكثر ما تسبب انانية الرجل ، وادراك هواه دون ان يلحظ هذا الحق ، امراضاً نفسية وحالات عصبية للمرأة !

٢ – ان لا ينزع الرجل فور قضاء وطره ، حتى تقضي زوجه حاجتها ، فان تربصه بها وانتظاره عليها تعجيل لفرصة قضاء وطرها .

٣ – ان يتستر الزوجان ، ويحتشما ، ولا يتجردا من الثياب في هذه اللحظات الخاصة ، كما يتجرد العيران ، فيقول صلى الله عليه وسلم « اذا اتى احدكم اهله فليستتر ولا يتجردا تجرد العيرين » .

٤ – والتسمية لازمة في ذلك، فالجماع طاعة من الطاعات، وهو امر ذو بال يبتغي به الزوجان العفاف والنسل ، ولا يعين على البركة في ذلك شيء كالاستعانة بالله تعالى ، قال الرسول (ص) « لو ان احدكم اذا اتى اهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا ، فان قدر بينهما في ذلك ولدٌ لن يضر ذلك الولدَ الشيطانُ »[1]

٥ – ان لا يتحدث الزوجان بما يجري حين يفضي احدهما الى الآخر ، او حال الوقاع، فقد جعل الرسول فاعل ذلك من شر الناس وضرب للمتحدثين بذلك ، مثل شيطان لقي شيطانة فقضى حاجته منها ، والناس ينظرون اليها فقال « ان من شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي الى المرأة وتفضي اليه ثم ينشر سرها » .

قال الشوكاني « وانما خص الرجل بالزجر ، ولم يتعرض للمرأة ، لان وقوع

---

(١) الشوكاني جـ ٦ ص ١٩٤ .

ذلك في الغالب من الرجل – اقول لو عاش الامام في زماننا لغير تبريره ووجهة نظره – ثم قال : – وهذا التحريم انما هو في نشر امور الاستمتاع ، ووصف التفاصيل الراجعة الى الجماع ، وافشاء ما يجري من المرأة من قول او فعل حالة الوقاع ، واما مجرد ذكر نفس الجماع ، فان لم يكن فيه فائدة ولا اليه حاجة فمكروه لجافاته للمروءة ، ولانه من التكلم فيما لا يعني « ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » وفي الصحيحين « ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً او ليصمت » فان كان اليه حاجة ، او تترتب عليه فائدة فلا كراهة في ذكره ، وذلك نحو ان تنكر المرأة نكاح الزوج لها، وتدعي عليه العجز عن الجماع او نحو ذلك .. » [1]

٦ – ان لا يفاجيء الرجل اهله بالعودة من سفر طويل ، في الليل ، حتى لا يجدها على حال – من ترك الزينة وعدم النظافة –يدعو الى النفرة والعزوف عنها ، ووسائل احاطة الاهل بعودة الغائب كثيرة الآن ، فان فعلنا ، استوى عند ذلك طروقهم في ليل او نهار . قال صلوات الله عليه : « اذا اطال احدكم الغيبة فلا يطرق اهله ليلاً »[2] والطروق هو المجيء بالليل .

قال الشوكاني عن ابن عمر قال . قدم النبي (ص) من غزوة فقال : « لا تطرقوا النساء ، وارسل من يؤذن الناس انهم قادمون » !! وانه لجانب من رحمة الرسول الذي قال فيه الله « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » .

***

٤ – شر البلية ما يضحك ..

واضحك مع الاستاذ الصاوي ، فقد كتب في الاهرام يقول :

« من اخبار وزارة الشئون الاجتماعية والعمل ان المختصين فيها يدرسون

---

(١) المصدر السابق ص ١٩٩ – ٢٠٠ .

(٢) نيل الاوطار جـ ٦ ص ٢١٣ .

اقتراحاً بانشاء معهد للزواج في القاهرة ، يتألف من قسمين احدهمـــا الطلبة ، والثاني الطالبات ، وصرح مسئول لمندوب الاهرام ، بأنه قد انشئت اخيراً في ولاية « ماريلاند الامريكية » كلية من هذا النوع حيث تدرس الطالبات فيهـا طريقة التعرف الى الزوج المنشود ، وكيف تحتفظ به الزوجـة ، وتجعله ينفذ اوامرها « هي » !! وهو يحسب انه لا يزال الآمر الناهي !

وفي قسم الشبان من هذه الكلية يدرس الطلبة طريقة معـــاملة النساء ، والتحدث اليهن ، ويتلقى الشبان ضمن المحاضرات دروساً عن عـادات المرأة وطبائعها الغريزية » .

واضاف المسئول الى ذلك قوله : « انه اذا تم انشاء هذا المعهد في مصر فانه سيساهم بقسط كبير في تدعيم الأسرة ، وتقديسها ، والمحافظة عليهـا ! اهـ .. كلام المسئول ..

وقال الاستاذ الصاوي : « ونحن نأسف لكلام هذا المسئول الذي لا يجوز ان يكون مسئولاً ، فهو حتماً من الموظفين الذين يعيشون في المريخ ، ولا يدري الظروف العصيبة المحيطة بنا ، والتي تتطلب الجد لا الهزل ! وموظف الشئون المسئول لم يسمع عن قناة السويس ، وتأميم شركتهـــا ، والمعركة الدولية التي نخوض اليوم غمارها ، فهو مشغول بالغرائز وما اشبه ! وهو يريد ان يحمـــل في فصلين « من كل زوجين اثنين » من الطـــلاب على شرط ان يكون الزوج « كرودياً » — اي سيء التقدير — وهو يقلد أمريكا حيث يحاصر الشبان بيوت الطالبات ليلاً ، ويهاجونهن وهن في اسرّة النوم بالملابس الشفافة !!

نُحِبُّ للمسئول في وزارة الشئون الاجتماعيـة والعمل ان يعيش في زمنه ، وان يعيش في وطنه ، او يترك بلادنا ويسافر الى اميركا ! اهـ

وليت الذين لا تعجبهم حياة الحشمة والصيانة والعفـــاف يسمعون ، ويستجيبون لهذا الرجاء — ليت !!

لقد قرأت الكثير من الكتب التي تستهدف شرح اجهزة الجنس للرجـــال

بحث

الميراث تشريع الأسرة

والنساء بصورة علمية مجردة من الفحش وسوء القصـــد ، وودت – كي يبلغ الناس بها كريم ما اراد كتابها – ان نعيد الايمان الى مكانه من قلوبنا ، وان نعلي من قدر الدين في جميع اتجاهاتنا ، وان نعلم اننا بدون الفضائل التي جاء بها الاسلام سنكون كمن يبني على الرمل ، وإنه لمن المعيب حقاً ان نستورد الافكار والمناهج والتقاليد وعندنا في شريعتنا الخالدة وديننا الحنيف ما ليس عند سواه من اسباب الخير والعزة والكمال ..

والدين سلوى النفس من آلامها وطبيبها من أدمع وجراح !

٤ — كيف فرق الاسلام بين الذكر والانثى ؟!

جعل الاسلام المرأة في كفالة ابيها ، او من يقوم مقامه ، حتى يُؤْنَس منها الرشد ، فتنفق من مالها — ان كانت ذات مال — والا لزمه الانفاق عليها ، ويكفيها زوجها جميع نفقاتها ، ومطالب حياتها ، وإن أربىَ مالها على ماله !

فكيف تضيق صدور ، أن فرق الاسلام بينها وبين اخيها في الميراث ، فذهب بِضِعْفِ نصيبها ؟! وكيف ينادي بعض الرجال والنساء بمساواة المرأة بالرجل في الميراث بعد ان شرع الله شرعه ، وفصّل في ذلك امره ؟!

ان الغرم دائماً على الرجل ، ولها الغنم خالصاً من دونه ، فهي لا تدفع مهراً، حين تتزوج من نصيبها في الميراث كما يدفع الرجل ، ولا تلزمها النفقة على زوج او ولد ، ولا يوجب عليها الاسلام الاسهام في اعداد بيتها ، او تجهيزه ، بل يلزم ذلك كله الرجل ، وماذا يغني ميراثه في هذا ان لم يضف اليه مزيداً من صالح كسبه ؟!

اما ميراثها فهو في حرز حريز يضاف اليه ولا يؤخذ منه ، يضاف اليه ما يوجب لها الاسلام من مهر فيه تعويض واف لها عن نقص نصيبها في الميراث ، وما يوجبه من نفقة تسد حاجاتها جميعاً !!

قال الله تعالى « يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين ... »[١]

يقول الاستاذ عبّاس العقاد « ومسوغ هذا التفاوت ان الأخ مسئول عن نفقة اخته، وان الابن يعول منزلاً عائل له من اهله ، وان رب البيت عامة هو الزوج ، او الاب او الرشيد من الابناء والاخوة ومن اليهم، وتقرير وجوب السعي على الرجل اولى واصلح من تقريره على المرأة التي يظلمها من يسويها به في واجبات السعي على المعاش مع زوجها بواجب الامومة والحضانة وتدبير المعيشة المنزلية »[٢] .

(١) النساء — ١١ وما هدها .
(٢) المرأة في القرآن — ٧١ .

ويقول الاستاذ سيد قطب : « فأمــا ايثار الرجل بضعف نصيب المرأة في الميراث ، فمرده الى النفقة التي يضطلع بها الرجل في الحياة ، فهو يتزوج امرأة يُكلف إعالتهـــا واعالة ابنائها ، وبناء الاسرة كله هو مكلف به ، فمن حقه ان يكون له حظ الانثيين لهذا السبب وحده ، بينما هي مكفولة الرزق ، ان تزوجت بما يعولها الرجل ، ومكفولة الرزق ان عنست او ترملت بما ورثت من مال ... والمسألة هنا مسئلة تفاوت في النفقة اقتضى تفاوتاً في الارث ! »[1]

ويقول الدكتور علي عبد الواحد وافي « وقد بنيت هذه التفرقة – اي في نصيب الذكر والانثى – في غالب الاحوال ، على تفرقة الاسلام بين اعبـــاء الرجل الاقتصادية في الحياة واعبـــاء المرأة ، فمسئولية الرجل في الحياة من الناحية المادية اوسع كثيراً في الاوضاع الاسلامية من مسئولية المرأة ، فالرجل هو رب الاسرة ، وهو القوام عليها ، والمكلف بالانفاق على جميع افرادهـــا بالفعل ان كان متزوجـــاً ، او سيصبح مكلفاً بذلك بعد الزواج ، وعلى الرجل وحده تقع كذلك نفقة آبائه واقربائه ، على حين ان المرأة لا يكلفها الاسلام حتى الانفاق على نفسها ، فكان من العدالة ان يكون حظ الرجل من الميراث اكبر من حظ المرأة حتى يكون في ذلك ما يعينه على القيــام بهذه التكاليف الثقيلة التي وضعها الاسلام على كاهله واعفي منها المرأة رحمة بها ، وحدباً عليهـــا ، وضماناً لسعادة الاسرة ، بل ان الاسلام قد بالغ في رعـــاية المرأة اذ اعطاها نصف نصيب نظيرها من الرجال ، مع اعفائه لها من اعباء المعيشة ، والقائهـــا جميعاً على كاهل الرجل »[2] .

ولقد اكثرت من هذه النصوص لتكون نوراً لطلاب الهدى ، ورجومـــاً للمبشرين ومن يرددون اقوالهم في ذلك[3] .

---

(١) العدالة الاجتماعية ص ٥٤ .

(٢) بحث للدكتور في كتاب « الاسلام اليوم وغداً » ص ١٨٠ – ١٧١ .

(٣) راجع كتاب التبشير والاستعمار للدكتورين الخالدي وفروخ .

٢ – المرأة بين الاسلام والجاهلية !.

ماذا كانت المرأة قبل الاسلام . يا من تذرفون دموع التماسيح ، لأن الاسلام حابى عليها – بزعمكم – اخاها الرجل ؟!

لقد كانت تعد في الجاهلية جزء من ميراث ابيها او زوجها ، وكان الارامل يصبحن ميراثاً لابن الرجل او بنته وكان الميراث يذهب للأخ الاكبر او العم او ابن العم دونها ! هكذا يقول التاريخ ، رضينا او لم نرض !!

وحين مات اوس بن ثابت عن زوجة وثلاث بنات ، ابى عليهم اهله شيئاً من ميراثه ، فقد كانوا في الجاهلية لا يورثون النساء والاطفال ، ويقولون لا يرث إلا من طاعن بالرماح وحاز الغنيمة ، فجاءت ام كحّة زوج اوس الى رسول الله تشكو اليه امر قومها فطلب اليها ان تنتظر ما يوحي الله ، فنزل قول الله تعالى « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر نصيباً مفروضاً »(١)

فبعث الرسول الى اقارب اوس ، الا يتصرفوا في شيء من ماله ، فان الله قد جعل لزوجه وبناته نصيباً ... قال النسفي « ولم يبين حتى نزل قول الله تعالى « يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين ... الآية » فاعطى الزوجة الثمن والبنات الثلثين ، وابني العم الباقي »(٢)

قال السيد عبد الحميد الخطيب ، لما تكلم الله في موضوع المواريث « فجعل المرأة اقل نصيباً من الرجل ثم عقب على ذلك موضوع الاحصان وجعل للرجل ان يعمل لإحصان نفسه بالمال الذي بذله للحصول على المرأة التي تشبع شهوته ، ولم يجعل لها مثل هذا الحق ، وكل هذه امور من شأنها ان تجعل المرأة تتمنى ان تكون رجلاً – وقد حصل – وقالت ام سلمة (ض) يا رسول الله يغزو الرجال

---

(١) النساء : ٧ .

(٢) النسفي ج ١ ص ١٦٢ .

ولا نغزو ، وانما لنا نصف الميراث ؟! وقال غيرها « وددنا ان الله تعالى جعل لنا الغزو فنصيب من الاجر ما يصيب الرجال ، ولما نزل قوله تعالى « للذكر مثل حظ الانثيين » قال الرجال .. اننا لنرجوا ان نفضل على النساء بحسناتنا كما فضلنا عليهم بالميراث ؟ فيكون اجرنا على الضعف من اجر النساء ، وقالت النساء انا لنرجو ان يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال في الآخرة ، كما لنا الميراث على النصف من نصيبهم في الدنيا فانزل الله قوله « ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض – من التكاليف والمميزات – للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن » مما خص الله به الرجال من تكاليف، وما جعله فيهم من مميزات كالجهاد في سبيل الله والعمل لطلب الرزق والانفاق على الاهل ، فقد رَصَدَ لهم من الاجر عليه ما لا يشاركهم فيه النساء ، وما كان خاصاً بالنساء من المميزات ، وما حملوا من مشاق كالحمل والولادة وتربية البنين، وادارة البيت ، فقد جعل الله لهن من الاجر عليه ما لا يشاركهن فيه الرجال اقول : – وان اجر ذلك لكبير اذكر فيه هنا قول الرسول صلوات الله عليه « اما ترضى احداكن انها اذا كانت حاملاً من زوجها ، وهو عنها راض ، ان لها مثل اجر الصائم القائم في سبيل الله ؟! فاذا اصابها الطلق ، لم يعلم اهل السماء والارض ما أُخْفِيَ لها من قرة أعين ؟ فاذا وضعت لم يخرج من لبنها جرعة ، ولم يمص من ثديها مصة الا كان لها بكل مصة حسنة ، فان اسهرها ليلة كان لها مثل اجر سبعين رقبة تعتقها في سبيل الله » الجامع الصغير ج ١ – ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، –

قال الاستاذ الخطيب .. فليس لاحدهما – الرجال والنساء – ان يتمنى ما هو مختص بالآخر ، خشية ان يزاحمه فيه فتعم الفوضى ويختل النظام العام »[١] الى آخر ما قال من نفيس القول !

هكذا كانت المرأة في الجاهلية يذهب الرجال دونها بكل شيء ، وكان

(١) تفسير الخطيب المكي ج ٥ ص ٩–١٠ .

من طوائف اليهود من يعتبرون البنت في مرتبة الخدم ، ويعطون اباها حق بيعها ما دامت قاصرة ، ولا يجعلون لها في الميراث نصيباً ، الا حين لا يكون لابيها ذرية من البنين ، ويقول الدكتور مصطفى السباعي « لم يكن للمسيحية نظام للارث الا ما يقرره رجال الدين عندهم ، ومن ثم اختلف النظام بين امم مسيحية متعددة كالفرنسيين والانجليز والطليان ، والنظام السائد في الكنيسة الكاثوليكية هو النظام الروماني الذي وضعه اوغطانيوس (٥٤٣/٥٤٧ م) وتقوم على مبادىء أوردها الدكتور[١] . وهي تختلف كثيراً عما جاء به الاسلام من نظام هو مفخرة المفاخر في هذا الجانب ، نظام خالد ثابت منذ شرعه الله لرسوله الى ابد الدنيا ، وان تغيرت مذاهب ، ودرست أفكار « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً »[٢] .

٣ – اصول الارث واسبابه وموانعه ..

علم المواريث من العلوم الجليلة في الشريعة الاسلامية ، فما من فرد في المجتمع الا وله به شأن وارتباط ، ولا يخلو أحدٌ من ان يكون وارثاً او مورثاً او محجوباً من الميراث .. ولهذه الاهمية حث الرسول الكريم على تعلمه ، وأخبر انه اول علم ينسى فقال : « تعلموا القرآن وعلموه الناس وتعلموا الفرائض وعلموها فاني امرؤ مقبوض ، والعلم مرفوع ، ويوشك ان يختلف اثنان في الفريضة والمسألة فلا يجدان احداً يخبرهما » اخرجه الامام احمد ..

ولقد حفل به القرآن الكريم كثيراً وبّين الله حكمة تفصيل معظم احكام الميراث فيه فقال : « يبين الله لكم ان تضلوا والله بكل شيء عليم »[٣] وبيَّنت السنة ارث الام وغيرها ، وكان الاجماع من اصول الارث كذلك .

وفي اسبابه يقول الاستاذ الاكبر : « ينبني الاستحقاق في الميراث في

---

(١) رسالة مشروعية الارث واحكامه ص ٣١ .
(٢) المائدة – ٣ .
(٣) آخر سورة المائدة .

نظر الشريعة الاسلامية » :

اولاً – على علاقتي القرابة والزوجية .

والقرابة تشمل : قرابة الولادة « الآباء والابناء » وقرابة الاخوة بجهاتها الثلاثة : للأب والام معاً وللاب فقط ، وللام فقط .

والزوجية تشمل : الزوج والزوجة ، وهذه أسباب الميراث ..

ثانياً – على الغاء صفات الذكورة والانوثة ، والصغر والكبر ، في أصل الاستحقاق ، فكان للصغير والكبير ، والذكر والانثى حق في الميراث .

ثالثاً – على ان الآباء والابناء – أعني الاصول والفروع – لا يسقطون في اصل الاستحقاق بحال ما ، وان كان يؤثر عليهم وجود غيرهم في كمية النصيب .

رابعاً – على انه لا ارث للاخوة والاخوات مع وجود الابوين ، وان كانوا ينزلون بنصيب الام من الثلث الى السدس .

خامساً – على انه متى اجتمع في الوارثين ذكور واناث اخذ الذكر ضعف الانثى .[1] »

ومناط هذا البحث ان يكون هناك موروث ، خَلَّفَه مورّث ، لورثة يتصلون به بسبب من الاسباب السابقة « الزواج الصحيح ، والقرابة النسبية ، والسبب الحكمي الذي كان يعرف بولاء العتاقة قبل ان يزول الرق ، وتكتمل بزواله على الدنيا نعمة الاسلام ..

وموانع الارث قد فصلتها كتب الفقه وحسبنا ان نذكر منها الرق ، والقتل ، واختلاف الدين ، والردة واختلاف الدّارين ، كما يمنع الميراث : جهالة تاريخ الموت ، وجهالة الوارث ، واللعان ، وولد الزنا ، لأن ذلك يجافي حكمة

(١) الاسلام عقيدة وشريعة ص ٢١٤ .

مشروعية التوارث ، ومن حدد القرآن والسنة والاجماع حقهم فيه !!

* * *

٤ ـ الارث يشد عرى الاسرة ..

والاسلام يلحظ ـ بعد اخراج الحقوق المتعلقة بالتركة ـ من تجهيز الميت وتكفينه وقضاء ديونه ، وانفاذ وصيته في حدود ثلث ماله ، وفيما زاد عن الثلث ان اجازه الورثة ـ ان يقسمَ ما بقي على المستحقين للميراث بحسب الاسهم المقررة لهم ، نصفاً وربعاً وثمناً ، وثلثين وثلثاً وسدساً ـ عدا العصبات الذين يأخذون الباقي دائماً ـ وان يكون التوزيع في أسرته ، الاقرب فمن دونه ، شدّاً لعُرَى القرابة ، وتضييقاً لهوة الاختلاف بين الناس في الغنى والفقر ، وتفتيتاً للثروات الكبيرة ، التي اطبقت عليها الاتانية ايدي المورثين طيلة حياتهم ، ثم خلفوها لمن لا يذكرهم بخير ـ وكأنما عناهم الذي يقول :

هالوا عليه الترب ثم انثنوا   عنه ، وخلوه واعماله
لم ينقض النوحُ من داره   عليه ، حتى اقتسموا ماله !

يقول الدكتور ابراهيم سلامة « والميراث ونظامه في الاسلام من تفتيت الملكية ، فاذا مات الغني ، توزعت امواله على الوارثين طبقة فطبقة ، ودرجة فدرجة ، في نظام خاص دقيق ، هو النظام المقرر في كثير من آيات سورة النساء ولا يقتصر التوزيع على اصحاب الانصبة المقدرة ، بل يعطى الفقراء والمساكين ومن حضر القسمة من ذوي القربى المحجوبين بالاصول ، ومن المساكين جيرة البيت الذي كان يعطف عليهم في حياته « واذا حضر القسمة اولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولاً معروفاً » [١]

« هذه الآية تعتبر اصلاً لما يسمونه في النظام الحديث ـ الآن ـ ضريبة

(١) النساء : ٨ .

التركات ، فالغني ان لم يفتت امواله في حياته بالزكاة والانفاق والسخاء تفتتت بعد موته بحكم القانون الاسلامي ، على انه ليس مكلفاً في حياته بان ينفقها جميعها ، فكلام الرسول يحدد لـه ما ينفقه ، ويحذره من عقبى اهلاك المال كله « انك ان تذر ورثتك اغنياء خير من ان تتركهم عالة يتكففون الناس » [1] .

أرأيت كيف يدني نظام الميراث الاقارب بعضهم من بعض ، وكيف يخلص بينهم الود والمحبة والتعاون على الخير العام ؟!

٥ ـ لا وصية لوارث !

الوصية المباحة في الاسلام في حدود الثلث لقول الرسول عليه الصلاة والسلام « الثلث والثلث كثير » وهي تنفذ فيما زاد على الثلث في حق من اجازها من الورثة بقدر نصيبهم من الزيادة دون من لم يجزها ، ولا تكون الوصية لاحد من الورثة ، فقد كانت واجبة للوالدين والاقربين بقوله تعالى « كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيراً الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقاً على المتقين » [2] ثم نسختها آيتا المواريث « يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلامه الثلث . فان كان له اخوة فلأمه السدس من بعد وصية يُوصى بها او دين آباؤكم وابناؤكم لا تدرون أيهم اقرب لكم نفعاً فريضة من الله ان الله كان عليماً حكيماً » [3]

« ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها او دين ، ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد ، فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها

---

(١) من بحث للدكتور في « الاسلام اليوم وغداً » ص ٢٨ .

(٢) البقرة : ١٨٠ .

(٣) النساء : ١١ .

او دين ، وان كان رجلٌ يورَثُ كَلالَةً او امرأةٌ وله اخ او اخت فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصي بها او دين غير مضارٍّ وصية من الله والله عليم حليم »[1] .

بهاتين الآيتين نسخت آية الوصية السابقة في النزول ، وصارت المواريث المقدرة فريضة من الله ، قال السيد رشيد رضا : « وآية الوصية نزلت قبل آية المواريث باتفاق وهذا ما اراده النبي (ص) وبينه في حديث أنس وابي امامة بقوله : « ان الله قد اعطى كل ذي حق حقه ، الا ، لا وصية لوارث » وفي حديث عمرو بقوله : « ان الله قسم لكل وارث نصيبه من الميراث فلا يجوز لوارث وصية » فالحديث مبين لآية المواريث ولما فيها من نسخ للوصية للوالدين »[2] .

ومن الثلث يعطى ابناء من ماتوا في حياة آبائهم نصيب هؤلاء الآباء بشرط ان لا يزيد عن ثلث التركة بحال ، وهو اجتهاد يتفق وعدالة الاسلام ورحمته ، فلقد يكون هؤلاء الذين ماتوا هم الذين كونوا الثروة او اسهموا في تكوينها بجهد كبير ، فلا ينبغي ان يحرم اولادهم من هذه التركة بينما يأخذ فرضه من لم يعرق له فيها جبين ولم تتعب منه يمين ، من اعمام الابناء وعماتهم ، وَمَنْ أولى بالوصية الواجبة من هؤلاء الابناء ، ثم هي من بعد ذلك ليتدارك بها المالك ما فاته في ماضي ايامه من فعل الخير قبل ان ينتقل ماله من يده الى يد سواه ، والنبي صلوات الله عليه يقول : « ان الله تصدق عليكم بثلث اموالكم عند وفاتكم . زيادة في حسناتكم ليجعلها لكم زيادة في اعمالكم » .

وقد وضعت الشريعة شروطاً للوصيّة زيادة على انها لا تصح لوارث ، يُجمِلُها قول الله تعالى : « غير مضار وصية من الله » فلا يعطاها من لا حاجة له بها ، ولا تكون ملحقة بالوارثين ضرراً . .

---

(١) النساء - ١٢ والكلالة : من لا ولد له ولا والد .

(٢) تفسير المنار ج ٢ - ١٣٥/١٣٧ .

٦ - درجات الورثة ..

وبالنظرة في آيتي النساء اللتين مرتا بك وفي الفروض التي قدرها الله فيها ، نستطيع ان نحصر الفروض المقدرة فيها لأصحابها على الوجه التالي :

النصف - هو فرض خمسة

(١) الزوج عند عدم الفرع الوارث ذكراً كان ام انثى منه او من غيره.

(٢) البنت اذا لم يكن معها ابن (أخ لها) .

(٣) بنت الابن - وان نزلت - اذا لم يكن معها بنت او لم يكن هنالك بنت ابن اعلى منها ٠

(٤) الأخت الشقيقة عند عدم البنت وبنت الابن والاخ الشقيق والاب.

(٥) الاخت لأب عند عدم الاخت الشقيقة ، والاخ لاب ، والاخ الشقيق والاب والبنت والابن وبنت الابن .

الربع - فرض اثنين

(١) الزوج عند وجود الفرع الوارث ذكراً كان ام انثى .

(٢) الزوجة عند عدم الفرع الوارث للزوج ذكراً كان أم انثى منها أم من غيرها .

الثمن - فرض الزوجة عند وجود الفرع الوارث للزوج منها أم من غيرها .

الثلثان - فرض اربعة

(١) البنتين فأكثر عند عدم الابن .

(٢) بنتي الابن فأكثر عند عدم البنت او الابن او ابن الابن .

(٣) الاختين الشقيقتين عند عدم الاخ الشقيق والبنت والابن وابن

الابن والاب .

(٤) الاختين لأب عند عــدم الابن والبنت وابن الابن والاخ الشقيق والاخ لأب والاختين الشقيقتين والأب .

الثلث – فرضُ اثنين

(١) الام ، ثلث الكل عند عـــدم الفرع الوارث او اثنين من الاخوة والاخوات ، وثلث الباقي بعد فرض الاب مع احد الزوجين .

(٢) الاثنين من الاخوة والاخوات لام عنـــد عدم الفرع الوارث والاب والجد .

السدس – فرض سبعة

(١) الاب عند وجود الفرع الوارث .

(٢) الجد عند عدم الاب والفرع الوارث .

(٣) الام عند وجود الفرع الوارث او اثنين من الاخوة والاخوات .

(٤) الجدة لأم او لأب عند عــدم الام ، وتسقطها الام من الميراث ولا يسقط بالاب الا الجدة لأب ..
والجدة الصحيحة هي التي لا يدخل في نسبتهـــا الى الميت جد ، كأم الام وام الاب ، وام ابي الاب ..
والجدة الفاسدة هي التي يدخل في نسبتها الى الميت جد ، كـــأم أب الام ، وهي من ذوي الارحام ..

(٥) بنات الابن مع البنت عند عدم الابن او ابن الابن .

(٦) الاخت لاب مع الاخت الشقيقة . اذا لم يكن معها أخ لاب .

(٧) ولد الام عند فقد الفرع الوارث والاب والجد ..[١]

***

٧ – العصبات

وهم الذكور من اقارب الميت غير من ذُكِرَ من أصحاب الفروض عند وجودهم – كما أخذ أبناء عم أوس مع زوجه وبناته – ويأخذون المال كله عند عدم أصحاب الفروض . وقد أجمعوا على هذا واستدلوا بقول الرسول : « ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فهو لأولى رجل ذكر » البخاري ومسلم ..

والعصبات درجات اولاها بالتقديم :

أ – فروع الميت الذكور وان نزلوا ، ما لم تتوسط بينهم وبين الميت انثى

ب – أصول الميت الذكور وان عَلَوْا، ما لم تتوسط بينهم وبين الميت انثى

جـ – فروع ابي الميت وهم : الاخوة وابناؤهم ممن لم تتوسط بينهم وبين الميت انثى

د – فروع جد الميت وهم الأعمام وابناؤهم ممن لم تتوسط بينهم وبين الميت انثى

ووراء هؤلاء العصبة بالنفس ، عصبة آخرون « بالغير » كالبنت مع الابن فأنها تصير عصبة بأخيها تأخذ نصف نصيبه بعد ان كانت صاحبة فرض ..

وهناك عصبة « مع الغير » كالاخت مع البنت فانها تأخذ ما بقي من البنت ان لم يكن هناك عصبة بالنفس .

٨ –ذوو الارحام :

هم اقارب الميت من غير ذوي الفروض او العصبات ، وهم أقاربه الاناث

(١) رسالة مشروعية الإرث وأحكامه للدكتور السباعي صفحة ٥٩ – ٦١ .

كالعمة والخالة ، والذكور الذين تتوسط بينهم وبين الميت أنثى كابن البنت ، وأب الام ، وهم على درجات .

جزء الميت – وأصله ، ومن ينتمي الى أبويه ، ومن ينتمي الى جدّيه او جدّتيه –

وأكثر الصحابة – رضوان الله عليهم – كعمر وعلي وابن مسعود وابي عبيدة ومعاذ بن جبل وابي الدرداء وابن عباس وغيرهم يرون توريث ذوي الارحام ، وتابعهم في ذلك علقمة وابراهيم وشريح والحسن وابن سيرين وغيرهم ، والى ذلك ذهب ابو حنيفة وأصحابه .. واحتجوا بقوله تعالى : « واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله » اي بعضهم اولى بميراث بعض فيما كتب الله ..

اما بعد :

فلعَلّي قد كشفت لك الجانب الاجتماعي في نظام الارث في الاسلام ، وقدمت بيانا مُقنِعاً للذين ينقمون من الشريعة الخاتمة ، اعطاء الرجل ضعف نصيب اخته، حتى نقرر سويا ان العدول عما شرع الله ظلم لا تستقر عليه قواعد الحياة ولا تتماسك به عرى الاسرة « تلك حدود الله ومن يطع الله ورسولهُ يدخِلهِ جناتٍ تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ، ومن يعص الله ورسوله ويتعدّ حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين »[1].

---

(١) النساء ١٣ – ١٤ .

الخدم في الأسرة

١ ـ الخدم علينا حقوق كثيرة !

لخدم الاسرة في الاسلام حقوق ان لم يذكرها القرآن باسم حقوق الخدم ، فانها تطالعنا بأسماء كثيرة كلما نظرنا في القرآن والسنة .. والاخوة الانسانية ، وحقوق العمال والاجراء وحدهما يؤكدان حق هؤلاء الخدم في الرعاية والرفق، ولا ريب ان خدمنا َعـَوان ٍعندنا، قد الجأتهم الظروف للحياة معنا،وهم يؤدون لنا من الاعمال ما لو أهمل لساء المصير ، ويعرفون من اسرارنا وخفيات امورنا ما لا يعرف خاصة أهلنـــا منه شيئاً ، وإكرامهم يؤلف على الاسرة قلوبهم ، ويضاعف لأفرادها ودهم ، ويستثير اخلاصهم فيما يوكل اليهم و ُيراد منهم ، واذا كان الاحسان جيلاً محبباً فهو أعظم ما يكون حين يتسع لهؤلاء الضعفاء الذين لا حول لهم ولا قوة الا بالله ، ولا يلوون على أهل ولا مال ، وانما يربطون مصيرهم بمصيرنا ، ويرون الحياة من خلال نظرة رحيمة او كلمة كريمة او صنيع حسن نؤديه اليهم !!

٢ ـ الاسلام يدفع ظلماً ويرفع من الخدم رءوساً !

ولقد واجه الاسلام فيما واجه من فساد الجاهلية ، سوءَ معـــاملة الخدم والمماليك ، وغض السادة من أقدارهم وإهدار انسانيتهم، فقرر المعصوم صلوات

الله عليه ان كفارة أذى الغلام ان يعتقه سيده[1] .

وعن أبي مسعود البدري(ض)قال: « كنت أضرب غلاماً لي بالسوط فسمعت صوتاً من خلفي إعلم أبا مسعود ، فلم افهم الصوت من الغضب فلما دنا مني ، اذا هو رسول الله ، فاذا هو يقول : اعلم أبا مسعود ان الله عز وجـــل أقدر عليك من قدرتك على هذا الغلام ، فقلت يا رسول الله هو حر لوجه الله، فقال (ص): أما انك لو لم تفعل للفحتك النار »[2] .

ولقد كان الرسول أبر الناس بالخدم وأحنــاهم عليهم وحسبنا في ذلك قول أنس : « خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قـــال لي أف قط ولا قال لشيء فعلته لم فعلته ، ولا لشيء تركته لم تركته ؟ » !![3]

وارسلني رسول الله في شأن فانتظرني طويـــلا ثم خرج فوجدني في الطريق فقال : « يا أُنَيْس اذهب حيث أمرتك » وروى الغضب في وجهه لأنه دعا اليه وصيفته او وصيفة أم سلمة فتراخت فلما جاءت قال لها وكان بيده سواك « لولا خوف القصاص لأوجعتك ... بهذا السواك » !!![4]

وغضب صلوات الله عليه لأن عبدالله بن رواحة ضرب جـــارية له كانت تتعاهد غنمه فَعَدَا الذئب عليها وأخذ واحدة منها ثم ندم ، فأخبر الرسول بما فعل .. فغضب غضباً شديداً حتى احمر وجهه وهاب اصحابه ان يكلموه .. وقال لابن رواحة : « ضربت مؤمنة ؟! ومـــا عسىَ الصبية ان تفعل بالذئب ؟ وما عسى الصبية ان تفعل بالذئب ؟ وما زال يكرر ذلك »[5] .

ومساعدة الخادم في عمله في موازين حسناتنا يوم القيامة .[6]

---

(١) الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٢١١ .
(٢) المصدر نفسه ص ٢١١ .
(٣) متفق عليه بلفظ قريب من هذا ..
(٤) الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٢١٧ .
(٥) جامع مسانيد أبي حنيفة ج ٢ ص ١٦٢ ،
(٦) المنذري ج ٣ ص ٢١٤ .

وفي لحظات الموت حيث لا تُذكَرُ الا جلائل الأعمال ، وكريم الوصايا ، كان رسول الله صلوات الله عليه يقول : « الصلاةَ وما ملكت ايمانكم وما زال يقولها حتى ما يُفيض لسانه »[1] .

٣ – بين النظم التي تحمي المجتمع !

لقد وضع الاسلام النظم التي تحمي المجتمع منذ استقر أمر الأمة ، وقرر خلالها حقوق العمال والخدم، ورطب القلوب بالترغيب والترهيبَ قبل ذلكَ على هؤلاء الاخوة الذين ينهضون بجانب هام من وجوه الحياة ، وينوء كاهل بعضهم بتبعاتها،فهو لا يستجدي لأنه عزيز أبيٌ ولا يتسول،ولكنه يكافح فاقته فيحترف ويَعمل ، وله أسوة طيبة بعلي كرم الله وجهه – يوم أجر نفسه من يهودية يستخرج لها الماء كل دلو بتمرة ، وظل يعمل حتى مَجِلَتْ كفاه – تَشَقَّقَتَا – فاستوفى من المرأة أجره، وراح يخبر الرسول خبرَه، فأَجلّه وأكبره وأكل تمرة من تمره صلوات الله عليه .. وما اكبر معنى اكل هذه التمرة !

ان الخدم والعمال اخواننا ، وحقوق الأخوان – في الاسلام – عند الاخوان كثيرة ، نجتزىء منها بقول الرسول (ص) : « حق المسلم على المسلم ست . قيل : وما هن يا رسول الله ؟ قال : اذا لقيته فسلم عليه ، واذا دعاك فأجبه ، واذا مرض فَعُدْهُ ، واذا مات فاتْبَعْهُ »[2] وقوله : « حق يحب لأخيه ما يحبُّ لنفسه » ..!

ومن هذه الحقوق ان توقره اذا احضر ، وتحفظه بظهر الغيب اذا غاب ، وان تسارع الى بره والاحسان اليه حين يحتاج منك الى الرعاية ، فمن اوائل ما اوجب الاسلام ، رحمة الانسان لأخيه الانسان ، بل رحمة الانسان للحيوان واذا كان الله تعالى قد شكر رجلاً سقى كلباً فغفر الله[3] ، وادخل امرأة النار ،

---

(١) بالمنذري ص ٢١٥ .

(٢) اللفظ لمسلم – رياض الصالحين للنووي ١١٧ .

(٣) المنذري جـ ٣ ص ٢١٠ .

بأنها حبست هرة فما أطعمتها ولا تركتها تأكل من خشاشِ الارض[1] ، فلقد بلغت الرحمة بالمسلمين حداً يدعو الى الدهشة بعد ان سمعوا حديث الرسول : « في كل ذات كبد رطبة أجر » .

ولست ادعو هنا الى تعهُّد الكلاب كلما لقيناها بالسُقيى ، وبر الهررة كذلك ، ولكنني اريد ان أتساءل عن مدى رعايتنا للضعفاء من إخواننا الذين يُؤَدُّونَ لنا من الأعمال ما يعود على اموالنا بالنماء ، وعلى تجاراتنا وصناعاتنا بالازدهار والسعة ؟ يقول الرسول: « اعطوا الاجير اجره قبل ان يجف عرقه».. ويتوعد الذين يستوفون أعمالهم ثم لا يُوَفونُ عمالهم اجورهم ، ويضعهم مع الغادرين ، ومهدري انسانية الأحرار في قوله : « ثلاثة انا خصمهم ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة . رجلٌ اعطى بي ثم غَدَر ، ورجل باع حراً وأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه اجره »[2] .

ورأى الخليفة عمر ، الخدم في مكة يقفون على أقدامهم ، بينما يهيل سادتهم الطعام الى بطونهم ، مأدوماً بنظرات الخدم الجياع ، فقال للسادة : « ما لقومٍ يستأثرون على خدّامهم ... » ثم دعا الخدم فأكلوا معهم في اناء واحدة !!!

يقول الاستاذ سيد قطب : « ولعل الحادثة التالية عن عمر ، ذات معنى حاسم في التطبيق العملي للتكافُل ، ولحق الملكية الفردية ، وحدوده في محيط الجماعة » .

« روى ان غلماناً لحاطب بن أبي بلتَعَة سرقوا ناقة لرجل من مزينة ، فأُتِيَ بهم عمر ، فأقروا ، فأمر كثير بن الصلت بقطع ايديهم ، فلما وَلّى ردّه ، ثم قال: « أما والله لولا اني اعلم أنكم تستعملونهم وتجيعونهم حتى ان احدهم لو أكل ما حرّم الله عليه حل له ، لقطعت أيديهم » » ثم وجه القول الى عبد الرحمن بن

---

(١) المصدر السابق ٢٠٩ .
(٢) ابن ماجة والبخاري ،

حاطب بن أبي بلتعة فقال : « وأيمُنُ الله اذ لم افعل ذلك لأغرمنك غرامة توجعك ! ثم قال : يا مزني ، بكم أريدت منك ناقتك ؟ قال : بأربعمائة ، قال عمر لابن حاطب اذهب فاعطه ثمانمائة ، وأعفى الغلمان السارقين من الحد ، لأن صاحبهم اضطرهم الى السرقة لجوعهم ، وحاجتهم الى سد رمقهم » .

وأبو ذر ينحو منحَى عمر في رعاية انسانية الخدَم، يقول المعرور بن سُوَيد: « رأيت أبا ذر في الربذة ، وعليه بُردٌ كثيف وعلى غلامه مثله قال فقال القوم: يا أبا ذر : لو كنت أخذت الذي على غلامك فجعلته مع هذا فكانت حلة ؟! وكسوت غلامك ثوباً غيره ؟ فقال أبو ذر « اني كنت سببت رجلاً ، وكانت أمه أعجمية ، فعيرته ، بأمه فشكاني الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « يا أبا ذر انك امرؤ فيك جاهلية فقال : هم اخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن جعل الله اخاه تحت يده ، فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولا يكلفه من العمل ما يغلبه ، فان كلفه من العمل ما يغلبه ، فليعنه عليه » ..

ويضع الرسول دستور معاملة الخدم بقوله : « لا يقل أحدكم عبدي أمتي ، وليقل فتاي وفتاتي » ويقول : « اذا أتى احدَكم خادمُه بطعام ، فان لم يجلسه معه ، فليطعمه أكلةً او أكلتين ، فانه وَليَ علاجه »[١] .

٤ ـ خذوها من ادب أهل البيت !

قد تسوءُ أخلاق الخدم ، وتدعو الى المؤاخذة حين يصير ذلك لهم دَيْدَناً وعادة ، والناس يتفاوتون في كظم الغيظ والدفع بالتي هي أحسن ، ولكنهم لا يبلغون مبلغ جعفر الصادق «ض» في ذلك .

فقد حكي ان غلاماً له وقف يصب الماء على يديه ، فوقع الابريق من يد الغلام في الاناء ، فطار الرشاش في وجهه ، فنظر جعفرٌ اليه نظرَ ساخط مغضب .

---

(١) صحيح البخاري ج ٢ ص ٢٥٠ طبع الخيرية .

فقال : يا مولاي « والكاظمين الغيظ » قال : « قد كظمت غيظي » — حبسته عن الحاق الاذى بك — قال : « والعافين عن الناس » قال: « قد عفوت عنك » قال : « والله يحب المحسنين » قال : « اذهب فانت حر لوجه الله »[1] .

وما ذلك بكثير على جعفر ، فقد سبقه على زين العابدين بمنهجه الرفيع في الصحيفة السجادية التي يقول فيها من فصل« دعاؤه في مكارم الاخلاق »:« وأجر للناس على يدي الخير ، ولا تمحقه بالمن ، وهب لي معـــالي الأخلاق واعصمني من الفخر » . « اللهم وحلني بحلية الصالحين ، وأ لبسني زينة المتقين ، في بسط العدل ، وكظم الغيظ ، واطفاء النائرة ، وضم اهل الفرقة .. »[2]

* * *

ه — شيئاً من الاختيار والحذَر !

ويجب ان نختار خدمنا ، فهم مرآة الاسر ، وان الصغار ليتأثرون بهـــم الى حد كبير ، فلنمعن النظر في اختيارهم ، ولنحاول ان ندربهم على المكارم ، وان يروا منا الحرص الدائم على معالي الأمور ، حتى يتنسموا النسمات الصالحـة في بيوتنا ، ان كانوا قد حرموها في بيوتهم ، فما اكثر المفاسد التي تُروّى عمن حرموا التوجيه الصالح ، مفاسد تغض من أقدار الأسر وتوجب مزيد اليقظة والحذر « والله من وراء القصد » .

(١) في كتب الأدب ، وفي كتاب الشخصية للاستاذ الاهواني ص ٥٥ .
(٢) الصحيفة — ص ٩٩ وما بعدها .

جيران الأسرة

١ – عوامل هناءة او شقوة ..

جيران الاسرة من عوامل هناءتها او شقوتها ، وعلى قدر ما يكون بينها وبينهم من ألف او خلف تحلو الحياة او تمر وتسوء او تسر ، وهم اقرب اليها وأسرع الى نجدتها – حين يفاجيء مكروه في ليل او نهار – من بعض الأهل الذين نأت بهم المنازل ، وشطت الديار ، وقديماً تعوّذوا بالله من جار السوء فقالوا « أعوذ بالله من جار السوء عينه تراني وقلبه يرعاني إن رأى حسنة سترها وان رأى سيئة اذاعها » .

٢ – في الجاهلية ..

وما كان حاتم الطائي مَثلاً شروداً في الجود فحسب ولكنه كان كما قال الرسول « يحب مكارم الأخلاق » فكان صورة عربية أصيلة للحفاظ على حرمة الجار – فهو يقول :

اذا ما بت أختل عرس جاري   ليخفيني الظلام ، فلا خفيتُ
أأفضح جارتي ، وأخون جاري   فلا – والله – أفعل، ما حَييت !

ويقول :

ولا تشتكيني جارتي ، غير انها إذا غاب عنها بعلها،لا أزورها
سيبلغها خيري ويرجع بعلهـا اليها،ولم تقصَر عليهاستورها!

ويقول حاتم « والله ما خاتلت جارة لريبة قط ، ولا اؤتمنت على امانة إلا أديتها ، ولا أوتي احد من قبلي بسوء » .

ومن شعر الجاهليةِ الذي ينسب لعنترة :

وأغضّ طرفي ان بدت لي جارتي حتى يواري جارتي مأواهـا !!

ولا استرسل في هذا السياق ، ولكنني أتساءل : اين المتلصصون على الجيران في عصر المدنية الصناعية ، من هذه الاخلاق ؟!

٣ – ادب الاسلام في ذلك .

هذه اللبنات الصالحة من آداب الجاهلية ، هي التي اعتبرها الرسول الاعظم وهو يقول « بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » [١]

ولقد وضع الله الجيران في مكانهم ، من آية الحقوق العشرة فقال « والجـار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل ... » [٢]

فأوجب سبحانه للجيران من قرابتنا او من غيرهم – وإن تعددت بيننـا وبينهم المذاهب واختلفت الأديان – حق البر بهم والاحسان اليهم ، فلقد عاد الرسول وَلَـدَ جارهِ اليهودي من مرضه[٣] وجعل –صلوات الله عليه– الجيران ثلاثة فجار له ثلاثة حقوق وهو جارك ذو القرابة المسلم «له حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام » وجار له حقان وهو جارك المسلم « له حق الجوار وحق الاسلام»

(١) الموطأ في رواية مالك .
(٢) النساء : ٣٦ .
(٣) تفسير الخطيب المكي ج ٥ ص ١٥ .

وجار له حق واحد وهو جارك غير المسلم « له حق الجوار »[1]

واستن اصحابه سنة البر بالجيران مسلمهم وغير مسلمهم ، فهذا عبدالله بن عمر يأمر غلامه بذبح شاة وتفريقها في جيرانه ويقول « وابدأ بجارنا اليهودي فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انــه سيورّثه » [2] منذ رأوا رسول الله يقول « انك ان آذيت كلب جارك فقــد آذيتــه » .

ان ادنى حقوق الجيران في الاسلام ان نكف عنهم كل اذى، وان لا نتسقط اخبارهم ، ونتتبع عوراتهم ، وأجمع الاقوال في ذلك قول المعصوم صلوات الله عليه « من اغلق بابه دون جاره مخافة على اهله وماله ، فليس ذلك بمؤمن،وليس بمؤمن من لم يأمن جاره بوائقه – غشمه وظلمه – أتدري ما حق الجـــار ؟! اذا استعانك أعنته ، واذا استقرضك اقرضته ، واذا افتقر عــدت عليه ، واذا مرض عدته ، واذا أصابه خير هنأته ، واذا اصابته مصيبة عزيته ، واذا مات اتبعت جنازته ، ولا تستطيل عليه بالبنيان فتحجب عنه الريح إلا باذنــه ، ولا تؤذيه بقتار ريح قدرك الا ان تغرف له منها ، واذا اشتريت فاكهة فاهد له ، فان لم تفعل فأدخلها سراً ، ولا يخرج بها ولدك ، فيغيظ بها ولده » [3]

وكأنما كان ينظر محمد صلوات الله عليه الى الحياة من ستر رقيق ، فالمجتمع تضطرب اسره في مجال تتناكر فيه ولا تتعارف وتستطيل في البنيان وتقول كل اسرة : أنا ، وبعدي الطوفان ! وتختلق اسباب التعادي ان لم تجيء عفواً ، الا من عصم الله !! وسل في اقل القليل اولئك الذين يسيئون استعمال اجهزة الراديو والتلفزيون ، هل حسبوا حساب المريض تزعج الضوضاء قلبه ؟ والدارس الذي يمنع الضجيج دراسته ؟ والعامل الذي أوى الى فراشه يستجم من عنــاء

(١) الطبراني في هامش الترغيب ج ٣ ص ٣٦١ .
(٢) الترغيب والترهيب ص ٣٦٢
(٣) المصدر صفحة ٣٥٧ .

يوم مضى ويستعد لجهاد يوم يقبل فينتفي النوم عن عينيه صوت هذه الاجهزة الذي يغشي منازل الناس على الرغم منهم ؟!

لقد كان الرسول يلقى اذى بعض بني عبد مناف على عتبات داره ، وفي أطرقه فيقول « يا بني عبد مناف اي جوار هذا ؟! وهو بذلك يعلمنا الرفق في العتاب حين يجاوز الناس حدودهم ويعصون الله ورسوله بأذى جيرانهم !!

قال كعب « ان رجلا أتى الى النبي ﷺ فقال يا رسول الله اني نزلت محلة بني فلان ، وان اشدهم لي أذى اقربهم لي جواراً ، فبعث الرسول ﷺ ابا بكر وعمر وعلياً رضي الله عنهم يأتون المسجد فيقيمون على بابه ، فيصيحون الا ان اربعين داراً جار ، ولا يدخل الجنة من خاف جاره بوائقه »[1].

انها لمهمة جليلة ، ينتدب لها الرسول من صحابته هؤلاء النفر الكرام!! ويقول مسكين الدارمي :

ناري ونار الجار واحدة	واليه قبلي تنزل القدر
ما ضرّ جاراً لي اجاوره	ان لا يكون لبابه ستر
اغضي اذا ما جارتي برزت	حتى يواري جارتي الخدر

وينشد ابو علي القالي :

ولست بسائل جارات بيتي	أغياب رجالك ، أم شهود ؟!

٤ ـ **في العهد الاموي ..**

بقي حق الجوار مرعياً حتى قال قائلهم:

ثنتان لا ادعو لوصلها	عرس الخليل ، وجارة الجنب

(١) المصدر نفسه صفحة ٣٥٣ .

أما الخليل فلست غادره   والجار اوصاني بـــه ربي

واليك نفحة من علي زين العابدين في دعائه لجيرانه من الصحيفة السجادية.. قـــال :

اللهم صل على محمدوآله وتولني في جيراني ومواليَّ، العارفين بحقنا،والمنابذين لأعدائنا ، بافضل ولايتك ووفقهم لإقامة سنتك ، والأخذ بمحاسن ادبك ، في ارفاق ضعيفهم ، وسدّ خلـّتهم، وعيادة مريضهم وهداية مسترشدهم،ومناصحة مستشيرهم ، وتعهد قادمهم ، وكتمان اسرارهم ، وستر عوراتهـــم ، ونصرة مظلومهم ، وحسن مواساتهم بالماعون،والعودة عليهم بالجِدّةِ والافضال،وإعطاء ما يجب لهم قبل السؤال ، واجعلني اللهم اجزي بالاحسان مسيئهم ، وأعرض بالتجاوز عن ظالمهم ، واستعمل حسن الظن في كافتهم ، وأتولى بالبر عامتهم ، واغضّ بصري عنهم عفة ، وألينُ جانبي لهم تواضعاً ، وأرقُّ على اهل البـلاء منهم رحمة ، وأُسِرُّ بالغيب لهم مودة واحب بقاء النعمة عندهم نضحاً،واوجب لهم ما اوجب لحامّتي -لخلصائي- وارعى ما ارعى لخاصّتي ، اللهم صلِ على محمد وآله وارزقني مثل ذلك منهم واجعل ليأوفقالحظوظ فيما عندهم ، وزدهم بصيرة في حقي، ومعرفة بفضلي حق يسعدوا بيوأسعد بهم آمين.رب العالمين»[1]

* * *

٥ – اثر هذه التربية ..

في الادب العربي امثلة لا نستوعبها – لكثرتها – في اثر هـــذه التربية ومن ذلك اقوالهم :

ونكرم جارنا ما دام فينا   ونتبعه الكرامة حيث مالا

* * *

(١) الصحيفة السجادية : ١٣٨–١٤٠ .

ومن لم يصن حق الجوار فانه يلاقي من الاهوال ما ليس ينتهي

* * *

وكنت مجاوراً لبني سَعيد فأفقدنيهمُ ريبُ الزمـان
فلما أن فقدت بني سعيد فقدت الود ، إلا باللسان

ولقد مات أحدهم فبكته احدى جاراته أحر بكاء ، فلمـا سئلت في ذلك قالت : « لقد جاورناه وما منا من احد الا وتحل عليه الصدقة ، ومات عنـا وما منا من أحد الا وتجب عليه الزكاة » !!

وكانوا يضربون المثل بجار أبي دؤاد .. وكان اذا مات لجـاره بعير أو شاة أَخْلَفَه ، واذا مات له قريب وداه -- دفع ديته -- !!

وكان لأبي دلف جار ببغداد ، ادركته حاجة ، وركبه دين مبهظ ، حتى احتاج الى بيع داره ، فساوموه فيها فسمّى الف دينار ، فقالوا له : ان دارك تساوي خمسمائة دينار ، فقال :

« أبيع داري بخمسمائة ، وجوار ابي دلف بخمسمائة » .

فبلغ ابا دلف الخبرُ ، فأمر بقضاء دينه ، ووصله ، وقـال : لا تنتقل أبداً من جوارنا !!

وقالوا مثل ذلك في جار سعيد بن المسيب !!

فهل ندرك من خلال ذلك ما يمكن ان يؤديه بر الجيران من رفاهية الأسرة وسعادتها ، وما يمكن ان يُعقبَهُ التطاول عليهم ، والظلم لهم من فـتن وأحن لا تطيب معها حياة ؟!

***

واخيراً .. فاني أرجو ان اكون قد قاربت -- في حدود النهج الذي رسمته

لهذا الكتاب – ما توخيت من فائدة ، يزداد بها الذين آمنوا ايمانـــاً ، وتأخذ بأيدي التائهين في دروب لذائذهم ، الى سواء السبيل ..

وأرجو – مرة اخرى – ان يغفر لي القـــارىء الكريم بعض الاخطاء المطبعية التي وقعت رغم الجهد المبذول في التصحيح والمراجعة ، وهي وصوابها بين يديك اول الكتاب فاصلحها ، أصلح الله بنـــا وبك . وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

مصادر الكتاب

١ – القرآن الكريم .

٢ – كتب السنة الصحيحة .

٣ – فتح القدير – المبسوط من كتب الفقه ، الاحيـــاء للغزالي ، الاسلام عقيدة وشريعة ، ومن توجيهات الاسلام للشيخ شلتوت ، المبـــادىء الشرعية للدكتور المحمصاني ، المقـــارنات التشريعية للاستاذ حسين عبد الله علي حسين .

٤ – تفاسير – الزمخشري ، والنسفي ، والمنار ، والخطيب المكي .

٥ – أمالي القالي ، الف باء للبلوي ، الصحيفة السجـــادية للامام علي زين العابدين ، العدالة الاجتماعية في الاسلام للاستاذ سيد قطب ، الاسلام اليوم وغداً لطائفة من الاساتذة ، القرآن والمرأة للاستاذ العقـــاد ، فتاة الشرق في مرآة الغرب ، وما وراء الستار لجميل بك بيهم ، العلم يدعو للايمان اركريسي موريسون ترجمة الفلكي ، محمد رسول الله إيتين دينية ترجمة الدكتور عبدالحليم محمود ، والاستاذ محمد عبد الحليم محمود..

٦ – بعض صحف القاهرة وبيروت ..

